

يا مفكري العالم.. فكروا معا



محمد
رءوف حامد

آخر تحديث: السبت 6 أبريل 2024 - 9:25 م بتوقيت القاهرة

أدت «7 أكتوبر» وتتابعاتها إلى انكشاف عورات النظام الدولى. مع الصلابة العظيمة للمقاومة الفلسطينية فى غزة، والصمود الرهيب لأهلها برغم شراسة الإبادة الجماعية، حدث إيقاظ للرأى العام العالمى. عندها صارت غزة منصة كبرى للإدراك الشعبى العالمى للحق الفلسطينى، ولإنقاذ العالم (غزة.. نقطة انعطاف النظام الدولى ــ الشروق 30 يناير 2024). بالتوازى مع قرارات محكمة العدل الدولية ومجلس الأمن بإيقاف الإبادة الجماعية، يتعلق الطرح الحالى بالتصدى لعورات النظام الدولى القائم، والتى تعانى منها الشعوب منذ ما قبل أحدث غزة.

فى هذا الخصوص، تشتد حاجة العالم إلى «إبداع» مسار جديد يهدف إلى تحجيم انحرافات النظام الدولى. هكذا احتياج يتطلب التبصر بالتضاريس الرئيسية للعوار الدولى القائم، والاجتهاد فى التوصل إلى أحسن استخدام ممكن للمعرفة (وحركياتها) كمنصة لمواجهة هذا العوار. فى هذا الإطار تجرى الإشارة إلى أربع قضايا.

• • •

أولا ــ تضافرية قوى التسلط العولمى: منذ أواخر ثمانينيات القرن العشرين تصاعد الحس بمتجهات قوى التسلط العولمى، وما نجم عنها من توترات (مالية وعسكرية واقتصادية واجتماعية وأمنية وبيئية) فى جميع أرجاء الكرة الأرضية. تظهر هذه القوى (والمتجهات) فى ثلاثة أشكال رئيسية:

1) قوى النيوليبرالية، أو الرأسمالية الشرسة، والتى تمارس توجهاتها بزعامة أمريكية، وبتغلغل لقوى مماثلة فى بقية بلدان العالم.

2) سلوكيات التطرف فى بلدان الشمال والجنوب. فى الشمال، تتواصل هذه السلوكيات بتحالفات سياسية مع القوى النيوليبرالية، بينما هى تنشأ فى الجنوب كأفعال، وردود أفعال، لتطبيق مفاهيم نيوليبرالية زائفة وهدامة، مثل «الفوضى الخلاقة».

3) توجهات وممارسات الصهيونية العالمية، والتى تنطلق من خلال:

ــ توافقات مع قوى الرأسمالية الشرسة.

ــ خلق الصراعات والتطرفات فى أماكن مختلفة من العالم.

ــ التصعيد الدائم لممارسات توسيع الاحتلال والتمييز العنصرى، والتى تجلت بشدة فى الأراضى الفلسطينية، سواء فى يهودية الدولة، أو زرع المستوطنات، أو الإبادة العرقية.

• • •

ثانيا ــ الحاجة إلى معرفة إنسانية تغييرية جديدة: تأتى هذه الحاجة كرد فعل على ما يجرى فى العالم من ممارسات تسلط وإرهاب، دوليا، وإقليميا، ومحليا. لقد وصلت هذه الممارسات أخيرا، إلى الإبادة الجماعية المتناهية فى غزة. التفاقم العالمى المتسارع لهكذا أوضاع يعجل بالحاجة الجذرية إلى «معرفة إنسانية تغييرية». يختص جوهر هذه المعرفة بعمليات التحول إلى المسارات الممكنة لتخليص العالم من شرور قوى الأنانية والهيمنة والتطرف.

إنها معرفة تختص بإحداث تغييرات، نظرية وتطبيقية، فى المرجعيات والمعايير والأدوات، بشأن الحفاظ على السلام والعدل الدوليين.

عمليا، تعنى هذه المعرفة بالتوصل إلى منهجية تختص بمحاصرة قوى التسلط العولمى، وبنحت نوعية جديدة من العلاقات الأكثر مناسبة بين عموم جماهير المواطن العادى من

جهة، وعموم أدوات الإدارة والحكم، من جهة أخرى.
أما عن الخصائص الرئيسية لهذه المعرفة فتتضمن:
ـ الانتباه إلى أن المحلية (بشأن الاحتياجات والإشكاليات والمعارف والإبداعات) أساس للعالمية، وأن العالمية تعد إطارا للتكاملات والتوازنات بشأن المحلية.
ـ إنها معرفة عبر تخصصية تقوم على الاستيعاب الكلى (التكاملى) للمعارف الإنسانية.
ـ إنها تعنى بالتواصلات متعددة الاتجاه، بين كل من الأكاديميين، والمفكرين، والقوى المهنية والسياسية.

• • •

ثالثا ـ الحاجة إلى «جماعية المفكرين»: إذا كان العالم بكافة أقاليمه وشعوبه يعانى من تضافرية فوقية لقوى التسلط العولمى، وإذا كانت المعرفة الإنسانية التغييرية الجديدة من المفترض أن تكون منصة لمجابهة هذه القوى ومنع شذوذياتها، فضلا عن علاج وتقويم ما سببته من حيودات، فإن التوصل إلى هذه المعرفة (ومساراتها) لا يمكن أن يتولد بغير «الجماعية»، وخاصة «جماعية المفكرين».
تنشأ الحاجة الأصيلة إلى «جماعية المفكرين» من خلال الإدراك بأن ما يعانى منه العالم الآن يأتى من هيمنة «فكر القوة». ذلك بينما ـ فى المقابل ـ ليس لقوة الفكر آليات تنشئها، وترعاها، وتنقلها من محدودية الفردانية إلى براح الجماعية.
وعن خطورة الوضعية الجارية فتتمثل فى أنه مهما تعددت الجهود والتنوعات الفكرية الفردية، فهى لا ترتقى إلى التأثير العملى فيما يجرى ويتتابع عالميا من شذوذيات وتطرفات. يستوى فى ذلك جميع المفكرين، سواء كانوا عالميين فى شهرتهم، مثل «تشومسكى»، أو هم من كبار الكتاب والأكاديميين فى أى مكان فى العالم.

• • •

رابعا ـ ماذا عن حركية التفكير معا؟:
أ) مع الآخر نتدارك ما هو الأكثر صحة: مهما كانت عبقرية الفرد وريادته، خاصة فيما يتعلق بالشأن العام، فإنه لا يمكن أن يصل إلى ما هو أمثل باقتصاره على التفكير مع ذاته فقط، حيث يصعب الارتقاء إلى الأحسن فى الرؤية واتخاذ القرار بغير التواصل مع الآخرين وتبادل وجهات النظر.
هنا نتذكر العلامة الإنجليزى، برتراند راسل، فبرغم عبقريته العلمية، وعمق ضلوعه فى الشأن العام، إلا أنه استغرق أكثر من عقدين ليتدارك الحقيقة ويعلن تراجعه (عام 1970) عن تأييده لنشأة إسرائيل، وأن ليس من حق اليهود إقامة دولة على أرض فلسطين.
ربما لو كان برتراند راسل قد اتجه للتنقيب «الجماعى» مع آخرين بشأن أحقية إسرائيل لكان قد أحسن تصحيح موقفه مبكرا.
مثال آخر، فى الشأن الدستورى، يتعلق بإفساح المجال للرؤى النقدية، ومن ثم التفكير والتفكر بتفاعلات فوق فردية. يتأتى ذلك فيما أعلنه أستاذا قانون أمريكيان من الحاجة لمناقشة ما يرونه من حيودات فى المواقف والممارسات القانونية للمحكمة الدستورية العليا. الأستاذان هما «جوزيف فيشكن» و«ويليام فوربات»، وقد عبرا عن رؤاهما فى بحث بعنوان «اجعلوا السياسة التقدمية دستورية مجددا»، المنشور فى مجلة Boston review عام 2022، والمترجم نقلا عنها فى مجلة الثقافة العالمية، عدد يوليو/أغسطس 2023.
طبقا لما توصلا إليه «معا»، حولت المحكمة الدستورية العليا أحكام القانون إلى غير ما هو مفترض أن تصل إليه، وذلك لصالح حكم الأقلية. ومن المفترض، طبقا لمقالتهما (بالاعتبار لخلفيات قانونية أمريكية)، أن يستخدم القانون لحماية حريات العاملين فى القيام بفعل جماعى، خصوصا الإضرابات والتجمعات الاحتجاجية، وليس فقط لحماية الخطاب المعارض، وذلك من أجل القضاء على الاختلافات فى تكافؤ القوة بين رأس المال والعمال.
ب) الجماعية كممارسة تنويرية: أيضا يجدر الانتباه إلى أن «التفكر معا» يفوق فى أهميته مجرد التوصل إلى ما هو أكثر صحة. إنه، يعطى ثراء ذهنيا لجميع المساهمين فيه، وبالتالى يقود إلى الثراء الثقافى المجتمعى.
هذا النوع من الثراء يؤدى ـ مع الوقت ـ إلى أن يكون المنخرطون فى «التفكير معا» أشبه بالمنظومة البيولوجية، والتى إذا حدث أى خلل فى أى جزء (أو منظومة تحتية) داخلها، فإن سائر الأجزاء (أو المنظومات التحتية) تجتهد تلقائيا فى التصحيح. إنه التصحيح الذاتى Homeostasis، والذى يحافظ على أداء المهام بأعلى إمكانية ممكنة.
أيضا، من شأن الثراء الثقافى أن يجعل جماعية الفكر، والتى تقوم على جماعية تبادل وجهات النظر (بالحوار)، مدخلا لتقويم وتأكيد «سلطة العقل». إنه، عندئذ، «العقل

الجماعى»، والذى عند علو شأنه يصير ناقدا، وكاشفا (وبالتالى مانعا) لأنانية المصالح الخاصة.
وهكذا، يمكن القول بأن ارتقاء التفكر والتفكير من خلال جماعيات المفكرين، عالميا ومحليا، تكون له مخرجات تنويرية، من شأنها توليد قيمة فكرية مضافة لعموم البشر.
ج) فرصة الفجوة العالمية الجارية: لاشك أن الأكثر جدة وأهمية، كنتاج لـ 7 أكتوبر، يتمثل فى الانشقاق، الكبير والحاد، بين الرأى العام العالمى المساند للحق الفلسطينى، من جانب، وتوجهات تحالف النظام الدولى بقيادة الولايات المتحدة مع المحتل الصهيونى للأراضى الفلسطينية، من جانب آخر.
هذا الوضع يمثل فجوة كبرى غير عادية بين كل من الرأى العام العالمى والنظام الدولى القائم. فى هذه الفجوة تكمن فرصة لبدء ظهور رؤى جماعية من المفكرين، وليس مجرد الاعتراض من خلال مقالات وفيديوهات.. إلخ.
د) نحو مهام استراتيجية للتفكير معا: قد يرى البعض مسألة تحديد مهام استراتيجية للتفكير معا باعتبارها توجها شديد المثالية. هنا يجدر الانتباه إلى أن شدة عورات النظام الدولى، وشدة عدم منطقيتها، طبقا لمعايير العدل والسلام، تجعل من الغرابة (والخطورة) غياب التفكير معا بخصوص المهام الإستراتيجية التى يتوجب الاهتمام بها.
هنا تجدر الإشارة إلى بعض هذه المهام:
ــ تحديد عورات النظام الدولى ووضع تصورات لمآلاتها، إذا استمرت الأمور على وضعيتها الجارية.
ــ الاجتهاد فى فهم المسارات والحركيات التى أوصلت العالم إلى عورات هذه اللحظة.
ــ التعرف على الخصائص الأخلاقية السلبية التى ساهمت وتساهم فى إنتاجها القوى التسلطية المهيمنة على العالم.
ــ تحديد وصياغة المعايير الرئيسية التى يمكن أن تكون حاكمة لتوجهات العدالة والمساواة والسلام، عالميا ومحليا.
ــ إخراج النظام الدولى من من حالة الفوضى التى أوجدتها وتسعى إليها قوى التسلط العولمى.
ــ التوصل إلى أدوات للتواصل والتشبيك بين جماعيات المفكرين، محليا وعالميا.
وبعد، العالم فى حاجة لأمان حقيقى.



غزة.. نقطة انعطاف النظام الدولي



محمد
رءوف حامد

آخر تحديث: الثلاثاء 30 يناير 2024 - 7:10 م بتوقيت القاهرة

تمهيد: «7 أكتوبر» ــ من المقاومة إلى شق مجرى دولى جديد

صدقت إشارة «جوتيريش» سكرتير عام الأمم المتحدة لضرورة فهم حركية المقاومة الفلسطينية فى 7 أكتوبر 2023 كرد فعل لتراكمات الممارسات الإسرائيلية الإرهابية، الخارجة على القانون الدولى، طوال عقود سابقة.

أما عن تواصل فعل المقاومة الفلسطينية بعد 7 أكتوبر، دون تمكن الجيش الإسرائيلى منها، برغم الدعم اللانهائى الذى يلقاه من حلفائه، فقد صار دالة على قدر ارتقاءات المقاومة، والتى تخطت الجودة المعرفية والتخطيطية إلى جودة الإنسانيات، طبقا لشهادة الأسرى الإسرائيليين المحررين.

وفى مقابل نجاحات المقاومة المشروعة (باعتبارها مقاومة للاحتلال) تتواصل العنصرية الإسرائيلية الممنهجة (والمسلحة) لإبادة السكان، ولتدمير الوجودية الفلسطينية لغزة، كدالة عظمى فاضحة لبربرية إسرائيل وحلفائها، ولاستهانتهم بالقانون الدولى.

فى هذا السياق، أدى مسار «7 أكتوبر» إلى شق مجرى دولى من الفهم، والاعتراض، والتصدى، ليس فقط بخصوص إدانة إسرائيل وحلفائها، وإنما أيضا بشأن عورات النظام الدولى.

وهكذا، من منصة «7 أكتوبر» بزغ التساؤل بشأن مصير النظام الدولى، بعدما أدت أحداث غزة إلى تعميق حس وإدراكات جماهير المواطن العادى، فى عموم الكرة الأرضية، بما يشوب هذا النظام من حيودات وانحرافات [المقاومة الفلسطينية والنظام الدولى.. أيهما قدر الآخر؟ ــ الشروق ــ 15 ديسمبر 2023].

لذا، بشأن النظام الدولى، يجتهد الطرح الحالى فى النظر إلى التوجهات (والتحولات) الناجمة (أو التى يمكن أن تنجم) نتيجة لأحداث غزة، وفى التناول للكيفية التى يمكن بها ترجمة الرأى العام العالمى إلى دور عملى بشأن حماية القانون الدولى وتحجيم الخروج عليه من إسرائيل وأعوانها.

أولا: «غزة» المقاومة كمنصة لمجابهة عورات النظام الدولى

لقد صار «7 أكتوبر» بمثابة علامة (أو نقطة) دالة على بدء دخول المجتمع الدولى إلى تغير نوعى رئيسى، تغير بحجم «الانقلاب»، بمعنى الانعطاف فى المسار.

عمليا، جاءت نقطة الانعطاف مجسدة لثلاثة أمور إستراتيجية. يتمثل الأمر الأول فى خواء المسارات الدولية والإقليمية من أية إيجابيات بشأن الحق الفلسطينى. أما عن الأمر الثانى فيتمثل فيما جد من تمكن ذاتى للمقاومة الفلسطينية من مجابهة الجيش الإسرائيلى (المدعم بقوى عظمى). من الأمرين معا يأتى ولوج البيئة الدولية إلى الأمر الثالث، والخاص بتحضير الشارع السياسى العالمى لمسار مجابهة عوار النظام الدولى.

ثانيا: متجهات إلى رأى عام عالمى جديد

وهكذا، فى ظل «غزة 7 أكتوبر» كنقطة انعطاف، بزغت متجهات يمكن أن تقود إلى رأى عام عالمى جديد. من أبرز الملامح فى هذا الاتجاه يمكن الإشارة إلى ما يلى:

1ــ العرفان المستحق لشابين بشأن مجابهة الفساد الدولى:

الآن، يمكن التأكيد بأن «عورة» حماية إسرائيل من أحكام القانون الدولى ليست مقطوعة الصلة بحيودات كبرى مهيمنة على العالم، من أبرزها ــ كمثال ــ عمليات تجريم الأسترالى

«جوليان أسانج»، والأمريكى «إدوارد سنودن»، بسبب كشفهما، منفردين، لناموس ممارسات انحرافية كبرى فى النظام العالمى السائد.
فى نظر النظام الدولى القائم، وبالذات من منظور الولايات المتحدة، جرى اعتبار الشابين مجرمين كبيرين، مطلوب إخضاعهما للمحاكمة بتهم تصل عقوبتها إلى السجن مدى الحياة.
تمثلت جريمة أسانج فى تأسيسه لمنظمة تتيح لعموم الناس الوثائق التى تحرص الحكومات على سريتها، والتى تحمل شبهة فساد.
وأما عن جريمة سنودن فتتمثل فى اكتشافه (وفضحه) لبرنامج أمريكى للتجسس على جميع الآخرين فى العالم.
من خلال قضيتهما (أسانج وسنودن) تظهر المفارقة الشارحة لوضعية النظام الدولى.
تتجسد هذه المفارقة فى معاملتهما كمجرمين كبار فى حق أمريكا (و/أو فى حق النظام الدولى). ذلك بينما كل منهما، قد منح (برغم تجريمهما بواسطة الإدارة الأمريكية) الجائزة السنوية لمنظمة «سام آدمز» الأمريكية، والتى تضم عاملين سابقين من المخابرات الأمريكية، ممن يقدسون «الالتزام بالنزاهة والأخلاق فيما يتعلق بمهام وأعمال الاستخبار».
المسألة إذن هذه المفارقة تنطق بما يعانى منه العالم، من انحراف Skewness فى اتجاه الفساد والتآمر والإرهاب، وهو نفس ما يقاسى منه الفلسطينيون منذ عقود.
وهكذا، من المتوقع لرنين أحداث غزة أن يؤدى بالمجتمع الدولى إلى إعادة التقييم لأوضاعهما (أسانج وسنودن)، ليس كمجرمين وإنما كمقاومين للفساد العالمى، مما يعنى إمكانية فتح مسار التنقيب بشأن ممارسات الحكومات فى التآمر ودعم االفساد.
2ــ القفز من مجرد فهم الصهيونية إلى منصات أخرى أوسع:
من الوارد لما يجرى من تصاعدات فى إدراكات الرأى العام العالمى بشأن الصهيونية وبربرية إسرائيل (وحلفائها) أن تؤدى إلى تحولات جديدة على غرار ما يلى:
أ) زيادة اهتمام الإنسان العادى بالتواصل والتفاعل بخصوص القضايا المجتمعية والدولية.
ب) إعادة تقييم جماهير الناخبين، خاصة فى البلدان الغربية، لقيادات حكوماتهم بعد إدراك أدوارهم فى دعم إبادة سكان غزة، فضلا عن اتباعيتهم للإدارة الأمريكية.
ج) مواجهات مدنية دولية أكثر جدة من أجل حقوق الإنسان عموما، وليس فقط حقوق الفلسطينيين، خاصة بعد تكرار (وحدة) افتضاح ازدواجية معايير النظام الدولى.
ثالثا: من «غزة» إلى المعرفة الإنسانية التغييرية الجديدة
أحداث غزة تمثل كشف وتعرية لما يتسيد فى العالم من «تمادى للفعل المتطرف». هذا التمادى كان قد جرى رصده فى دراسة «مستقبل جديد للثورات: ثورة المفكرين» (الحوار المتمدن ــ 2 فبراير 2013)، والتى ضمنت لاحقا (بنفس العنوان) فى إصدار أكثر استفاضة (المكتبة الأكاديمية ــ 2019). فى إطار هذه الدراسة جرت الإشارة إلى ثلاث قوى (أو متجهات) رئيسية تتضافر مع بعضها من أجل ممارسة واستدامة «التمادى فى الفعل المتطرف»، تماما كما يحدث فى غزة الآن.
تتمثل هذه القوى (أو المتجهات) فى كل من النيوليبرالية (أو الرأسمالية الشرسة)، وسلوكيات التطرف، والنزعات الصهيونية. وباعتبار أن هذه القوى (أو المتجهات) عالمية (و/أو عولمية) الطابع، فإن التصدى لها لابد وأن يكون عالميا.
من هذا الاعتبار، تتأسس «الأهمية التاريخية» لتحولات الرأى العام العالمى إلى دعم الحق الفلسطينى.
ذلك بمعنى أن شعوب العالم تحتاج إلى تضافرية القوى والحركيات، فى اتجاه إنجاز المصالح الإنسانية الأساسية.
فى هذا الخصوص تنشأ حاجة عالمية إلى «معرفة إنسانية تغييرية» جديدة. الهدف الأم لهذه المعرفة يكمن فى التوصل إلى منهجية يكون من شأنها محاصرة قوى الأنانية والتطرف، الأمر الذى يحتاج إلى «نحت» نوعية جديدة من العلاقات بين جماهير المواطن العادى وأدوات الإدارة والحكم.
من أبرز أساسيات هذه المعرفة أن تكون عبر تخصصية، وأن تتشكل من خلال تواصلات بين المعارف (والتحديات) المحلية والعالمية، وكذلك تواصلات بين المعارف الفكرية والأكاديمية من جانب، والمعارف المهنية والسياسية، من جانب آخر. من هنا، يمكن القول، فى الحيز

الحالى، أن التوصل إلى هذه المعرفة التغييرية لا يكون ممكنا بغير «جماعية» فى التحضير.
رابعا: دور المحاكمات الشعبية فى حماية الشأن العام الدولى الراهن
ربما تتمثل العورة الأكثر شراسة فى النظام الدولى القائم فى ممارسة القطب الأوحد (وحوارييه) عمليات التعويق لمسارات تطبيق القانون (كما يحدث بشأن أوضاع غزة). وإذا كانت بعض الدول، مثل جنوب أفريقيا، قد تجرأت فى التصدى لهكذا عورة، من خلال محكمة العدل الدولية (وغيرها)، فإن النجاح فى إنجاز أحكام عادلة لا يعنى، فى ظل الملابسات الراهنة للنظام الدولى، إمكانية التنفيذ السلس لهذه الأحكام.
هذا الاعتبار يدفع إلى الحاجة لتحويل «طاقة» الرأى العام العالمى إلى آلية ضاغطة من أجل تطبيق أحكام القانون الدولى.
فى هذا الإطار نجذب الانتباه إلى ما يلى:
1ــ أن استمرارية الرأى العام العالمى فى التعبير التقليدى (بالتظاهرات وغيره) بغير تحقيق مخرجات عملية إيجابية قد يؤدى بكافة الأطراف إلى ممارسات مرضية Pathological، مما يزيد من الشواش العالمى، والذى من الطبيعى أن يكون فى صالح قوى «التمادى فى الفعل المتطرف».
2ــ أن الارتقاء المتدرج لمسار الرأى العام العالمى (مثلا: من التظاهرات إلى المحاكم الشعبية) يكون بمثابة آلية للحفاظ عليه، وتطويره.
3ــ أن من شأن مسار المحاكم الشعبية الضغط لحماية وإنفاذ القرارات التى يمكن أن تصدر دوليا ضد المصالح الإسرائيلية.
4ــ فى هكذا إطار نكرر هنا الإشارة إلى أهمية تحول الرأى العام العالمى إلى منصة لنشأة المحاكم الشعبية بهدف المحاسبة السياسية لكافة المسئولين عن دعم، وتنفيذ، أعمال الإبادة لغزة ولسكانها، من جميع كيانات العالم.
5ــ وبالإضافة إلى دور المحاكم الشعبية فى تحجيم قيادات وكيانات الإرهاب، فمن شأنها أن تكون بيئة داعمة لمحكمة العدل الدولية (ولباقى مسارات الأمم المتحدة فيما يتعلق بأحداث غزة وبالقضية الفلسطينية).
6ــ حتى تكون المحاكم الشعبية ناجزة فإنها تحتاج أن تبنى ــ جماعيا ــ من كيانات مدنية (قانونية وإعلامية وفكرية..إلخ) ، وليس من أفراد.
وبعد،.. يبدو أن القضية الفلسطينية هى بالفعل المنصة العالمية الأنسب لتصحيح عوار النظام الدولى.





محمد
رءوف حامد

المقاومة الفلسطينية والنظام الدولى.. أيهما قَدَرُ الآخر؟

آخر تحديث: الخميس 14 ديسمبر 2023 - 7:05 م بتوقيت القاهرة

«7 أكتوبر».. هل تمثل مفاجئة؟

التفكير بشأن مسارات ما بعد «7 أكتوبر» يحتاج للإدراك بأن هذا الحدث لم يكن بالكامل مفاجأة، الأمر الذى يرجع إلى سببين، أحدهما يختص بمنظومية المقاومة الفلسطينية، بينما يتعلق الآخر بمتغيرات فى التحدى الذى يواجه الشعب الفلسطينى.

عن السبب الأول، يمكن القول بأن انتفاضة الحجارة (1987) كانت تمثل البداية لمسار جديد فى منظومية المقاومة، وأن حالة راقية من الوجود الثورى الفلسطينى بدت لنا وقتها تلوح فى الأفق [«المنظومة الجديدة للثورة» ــ جريدة الأهرام (5 أكتوبر 1988 صفحة 11)].

طبقا لهذا الطرح، والمستند على المعرفة العلمية المتعلقة بالنمو الذاتى للمنظومات، دشّنت انتفاضة الحجارة بدء الحركية «الذاتية» لجماعة المقاومة الفلسطينية، والتى جرت الإشارة إلى أنها تكتمل نضجا عبر مراحل خمس، حيث وُصفت المرحلة الخامسة باعتبارها مرحلة إنجاز «التكامل الارتقائى بين إمكانات الجماعة ككل».

وعليه، جاء «7 أكتوبر» كعلامة على اقتراب منظومة الثورة الفلسطينية من (أو دخولها إلى) المرحلة الارتقائية الأعلى (أى «المرحلة الخامسة»)، والتى بها، ومنها، يتنامى حاليا إدراك الرأى العام العالمى لوجودية المقاومة الفلسطينية كحركة تحررية.

أما عن السبب الآخر، والمتعلق بالمتغيرات فى التحدى، فيتمثل فى تحول السياقات الدولية المؤثرة فى القضية الفلسطينية، من الارتهان بتوازنات بين العملاقين السابقين (الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة) فيما قبل العولمة، إلى تحيزات وتحكمات مطلقة، من جانب القطب الدولى الأوحد.

فى ظل هكذا تحدٍ صار مصير النضال الفلسطينى مرتهنا، ليس فقط بمقاومة المغتصب الإسرائيلى، ولكن أيضا بمجابهة انحرافية النظام الدولى.

من «7أكتوبر» إلى النظام الدولى

من هنا، صارت «7 أكتوبر» بمثابة «الجرس» التنبيهى لعوار النظام الدولى.

لذا، نجد حركيات وسياقات «غزة ــ 7 أكتوبر» تتماس مع ما هو وطنى (والمتمثل فى مواجهة المغتصب الصهيونى)، ومع ما هو عولمى (والمتجسد فى تغييب تطبيق القانون الدولى على إسرائيل).

وعليه، من منصة «7 أكتوبر»، يبزغ التساؤل المصيرى: هل سيكون النظام الدولى (العولمى) السائد هو قدرُ «غزة 7 أكتوبر» (وقدرُ المنطقة)، أم ستكون غزة (وتحديدا المقاومة الفلسطينية) هى قدرهُ؟

التعامل مع هذا التساؤل يتطلب الانتباه لملامح عوار النظام الدولى قبل «7 أكتوبر»، ثم التعرف على ما قد طرأ من انكشافات وتداعيات فيما بعد «7 أكتوبر».

عوار النظام الدولى فيما قبل 7 أكتوبر

على مدى عقود عانت المقاومة الفلسطينية قدرًا محكومًا (ومهيمنًا عليه) بواسطة ممارسات دولية مرَضِية Pathological مقصودة، استهدفت منع تطبيق القانون الدولى على إسرائيل، وغض البصر عن الخروقات فى ممارساتها، إضافة إلى نعت المقاومة الفلسطينية بالإرهاب.

من بين الممارسات الدولية المرَضِيَة يمكن الإشارة إلى:

ــ الترويج بأحقية إسرائيل فى ممارسة الحرب ضد الشعب الفلسطينى دفاعا عن نفسها. هذا بالرغم من أنه طبقا للقانون الدولى، لا يحق لإسرائيل (كممارس للاحتلال) أن تشن حربًا على الأراضى المحتلة. ذلك بينما، فى المقابل، يقر القانون الدولى بمشروعية حق المقاومة من جانب الذين يقع عليهم الاحتلال، أى الشعب الفلسطينى.
ــ عدم قيام مجلس الأمن بواجباته، فى كل الأوقات، بخصوص وقف إطلاق النار على الشعب الفلسطينى.
ــ استمرارية الانتهاك الإسرائيلى المزمن للقانون الدولى الإنسانى، بممارسة الإبادة الجماعية، وهدم المساكن، واحتجاز الرهائن، والتهجير... إلخ.
ــ قيام إسرائيل بجريمة حرب، متكاملة الأركان، بإقامتها للمستوطنات.
ــ عدم تحميل إسرائيل لأية تعويضات لما تُلحقه بالشعب الفلسطينى وبممتلكاته من أضرار وخسائر.

«7 أكتوبر» ــ الانكشافات والتداعيات

لقد بزغ «7 أكتوبر» من خارج أية خيال، سواء كإنجاز راقٍ للمقاومة الفلسطينية، أو ككشف لمواطن ضعف إسرائيل، أو كبوابة لطوفان من الانكشافات والتداعيات، المحلية والدولية.
ولقد تضخمت «الانكشافات» إلى حد أن ساهمت بقوة فى تصحيح «إدراكات» شعوب العالم بخصوص الحق الفلسطينى.
من أبرز هذه الانكشافات (والإدراكات) تجدر الإشارة إلى:
ــ ثبوت إفراط الكيان الإسرائيلى فى الكذب والالتواء، الأمر الذى قد صار مادة للتناول الإعلامى الغربى (مثل قناة Democracy Now)، وللعديد من الأقلام الغربية (الصحفى الأمريكى المشهور كريس هيدجر، كمثال).
ــ تَعَرَّف العالم، من خلال الفيديوهات، والإحصاءات، على الممارسات اللاإنسانية (متناهية الشراسة) للكيان الإسرائيلى، مثل تعمد قتل الأطفال والنساء، وتحطيم كافة مقومات الحياة (من المساكن، والمستشفيات، ومصادر الطاقة، والمياه والغذاء، فضلا عن المدارس ودور العبادة ووسائل الانتقال... إلخ). ذلك إلى جانب العنصرية الإرهابية فى التصريح باعتبار الفلسطينيين «حيوانات» يجب قتلهم.
ــ شراسة الدعم الفورى المتواصل لإسرائيل (عسكريا وماليا وإعلاميا) من القطب الدولى الأوحد (الولايات المتحدة) ومعه حكومات سائرة فى مداره (من بريطانيا وفرنسا وألمانيا). وهو دعم يرتقى إلى حد الشراكة فى الحرب والإبادة.
ــ افتضاح الأبعاد المؤامراتية لمخطط «صفقة القرن».
ــ الإدراك لزيف الارتباط بين اليهودية (كديانة) وبين الصهيونية (كعقيدة سياسية عنصرية)، الأمر الذى قد تصاحب بتظاهرات لليهود فى الولايات المتحدة وغيرها، إدانة للممارسات الإسرائيلية وتعضيدا للحق الفلسطينى، مع رفعهم لشعار «ليس باسمنا».
ــ جُرْم امتطاء الصهيونية لمفهوم العداء للسامية بهدف إدانة وسجن من يَنقُد عنصريتها وسوآتها (كما حدث مع المفكر الفرنسى روجيه جارودى، والذى كشف الغبار عن أكاذيب الصهيونية).
ــ إنعاش الذاكرة التاريخية بخصوص مؤامرات (ومآسى) القضاء على السكان الأصليين (فى أمريكا مثلا).

التداعيات الناجمة عن الانكشافات

لقد أدت الانكشافات السابق ذكرها، وغيرها، إلى تداعيات تنذر بقدوم حركيات مجتمعية غير تقليدية، فى بلاد الغرب (وغيرها). من بين التداعيات التى جرت بالفعل:
ــ تصاعد كبير فى حجم وقوة الرأى العام العالمى المدعم للحق الفلسطينى.
ــ بزوغ انشقاقات فى الرؤى والممارسات داخل بعض حكومات الغرب، والتى يأتى من أبرزها رفض شرطة لندن الانصياع للتوجيهات الحكومية بمنع التظاهرات المؤيدة للحق الفلسطينى.
ــ ظهور فجوة بين رؤى الشعوب وسلوكيات الحكومات، وبالذات فيما يتعلق بدعم إسرائيل ضد المقاومة الفلسطينية.
ــ إشارة الأمين العام للأمم المتحدة للاضطهادات الإسرائيلية التراكمية ضد الفلسطينيين كسبب فى اندلاع أحداث «7 أكتوبر».

فى معالم تدهور النظام الدولى

وبعد، بالنظر إلى ما نجم عن «7 أكتوبر» من إدراكات، وانكشافات، وتداعيات، يمكن التوصل إلى ما يلى:
ــ أن الدعم المطلق من جانب القطب الأوحد (والحكومات السائرة فى فلكه) للممارسات الإسرائيلية، بما تتضمنه من احتلال وحرب وإبادة... إلخ، إنما يعنى هدم صريح لمبادىء القانون الدولى.
ــ إن هذه الحالة من فرض اللا سيادة للقانون، إنما تعنى «إغلاق» النظام الدولى، وبالتالى نشر وتأجيج ممارسات العنف فى العالم ككل.
ــ إن الانغلاق والعنف الناجمين عن حجب تفعيل القانون الدولى، يؤديان بالعالم بأسره للتحول إلى كيان جنوبى الخصائص، وهو وضع يتشابه مع ما يجرى من انغلاق وعنف فى غالبية بلدان الجنوب، الأمر الذى ينجم عن الديكتاتورية وغياب سيادة القانون، وهيمنة قوى الأمن الشرعى على الأنظمة السياسية.
ــ وهكذا، تنكشف عورات النظام الدولى من منصة «7 أكتوبر»، الأمر الذى قد أثار معظم الناس فى كل شعوب العالم تقريبا.
إشكالية تصحيح النظام الدولى
بينما تحمل الذاكرة المعاصرة لمحات عديدة لانحطاط الأوضاع الدولية، مثلما جرى فى الأكاذيب التى فرضتها الولايات المتحدة لتسويغ حربها على العراق (2003)، ومثل ترويجها لمفاهيم ملتوية (كالفوضى الخلاقة)، إلا أن انكشافات وتداعيات «ما بعد 7 أكتوبر» هى التى أدت إلى ارتفاع حساسية الرأى العام العالمى لمآسى اعوجاجات النظام الدولى.
من هنا صارت الحاجة قصوى (والإمكانية واردة) للتغيير التصحيحى للنظام الدولى.
فى هذا الشأن يمكن، فى المقام الحالى، ومن منصة «7 أكتوبر»، الإشارة إلى متجهين فيهما تكامل بينى، أولهما تحويل الرأى العام العالمى الجديد إلى حركيات قانونية شعبية بشأن الانحرافات الإسرائيلية الجارية، وثانيهما التحول إلى معرفة إنسانية تغييرية جديدة.



من غزة إلى إعادة حوكمة العالم



محمد
رءوف حامد

آخر تحديث: الثلاثاء 8 أكتوبر 2024 - 6:35 م بتوقيت القاهرة

إذا كانت تداعيات «7 أكتوبر» قد نبهت إلى حدة عورات النظام الدولى، فالأكثر أهمية أن هذه العورات قد نجمت عن تراكمات مزمنة من الانحرافات الدولية، الأمر الذى يدل على قدر حاجة الشأن العام العالمى إلى تصحيح أوضاع النظام الدولى. من هنا، يجتهد الطرح الحالى فى النظر إلى المسارات التى يتطلبها هكذا تصحيح.

أولًا- الحاجة إلى حوكمة معرفية

يتجسد الجوهر الحقيقى للحوكمة الجارية في العالم فى ممارسات لا أخلاقية، مثل ازدواجية المعايير، ودعم الكيان الصهيونى بشأن ما يصنعه من اضطرابات ومآسٍ، ومثل استيلاء بلدان من الشمال على ثروات شعوب الجنوب، سواء بالنهب، أو بتعويق التنمية، أو بتهيئة أنظمة الحكم لتفاقمية القروض، كمدخل للتحكم فى الأوضاع. ذلك فضلا عن الضلوع فى إحداث الانقلابات، كما جرى فى الكونغو (لومومبا 1960)، وغانا (نكروما 1966)، وشيلى (الليندى 1973)، وفنزويلا (شافيز 2002)، والبرازيل (ديلما روسيف 2016).
أيضًا من اللا أخلاقيات اختلاق القطب الأوحد (بالتآذر مع حلفائه) لمناوشات مع قوى دولية تتمتع بقدرات (أو بتطلعات) منافسة، كما يجرى مع الصين (خاصة باستخدام تايوان كزر إقلاق)، ومع روسيا، بتآمرية إشعال الحرب الروسية الأوكرانية.
وهكذا، لا أخلاقية النظام الدولى الراهن تستدعى نشأة توجه عالمى لاستحداث بديل، تكون فيه الأخلاقيات قوة دافعة لحوكمة المسارات.
هنا - كمثال - نتساءل: إذا كان الرأى العالم العالمى يطالب بتحرير فلسطين، فلمن يُوَجَه هكذا طلب؟ هل إلى النظام الدولى الذى تآكلت صدقيته، أم يكون على حركيات الرأى العام العالمى، المناهض للحيودات، أن تسعى للتحول إلى نظام أكثر أخلاقية؟
بمعنى آخر، يحتاج العالم التحول إلى حوكمة تنبع من منصة المعرفة الإنسانية التغييرية الأكثر اكتمالًا، وليس من منصة المصالح الخاصة بالنيوليبرالية أو بالصهيونية العالمية وقوى التطرف.
• • •

ثانيًا - إبداع التحول

هكذا حوكمة، تتطلب بناء منصة إبداعية عالمية تختص بالولوج إلى التحول، الأمر الذى يحتاج إلى تفاعلات جماعية، فكرية/تخطيطية، فى مجالين رئيسيين، وهما مأسسة التحول، وأهدافه الجزئية.
فى هذا الخصوص تكون المقاربات عملية، وأكثر ثراء، عندما تُبنى من خلال الفهم والتأمل للعلاقة بين «جدلية الفكر والقوة» والنظام الدولى، والتى كانت قد جرت الإشارة إليها من

قبل (غزة.. ما بين اليوم التالى والمتبقيات - الشروق 15 أغسطس 2024).
من منظور هذه العلاقة، لم تأتِ عورات النظام الدولى صدفة، وإنما قد نشأت وتضخمت بالاعتماد على «فكر» يصب فى مصالح المهيمنين على هذا النظام.
ذلك بمعنى أن بلطجة القوة المهيمنة دوليًا قد تولدت بالاعتماد على «فكر القوة»، والذى جرى تجهيزه بدراسات وترتيبات ومناورات.
من هنا، لا يمكن مجابهة عورات النظام الدولى إلا بالاهتمام المنهجى بالتوجهات الناقدة لهذا النظام، والتى تعتبر بمثابة «قوة فكر» أولية.
قوة الفكر هذه تحتاج إلى فكر يأخذ بيدها ويطورها. إنه «فكر قوة الفكر»، كما تحتاج أيضًا إلى بناء قوة تساعدها على التأثير. إنها «قوة قوة الفكر».
هذا الاعتبار يوضح أن «كهرباء» (أو طاقة) الرأى العام العالمى، سواء فى دعم تحرير فلسطين، أو فى مجابهة أى من عورات النظام الدولى، لا يمكن لها أن تُضىء بغير تطوير قوة الفكر المجابهة لهذه العورات، أى بتطوير «فكر قوة الفكر»، وأيضًا بغير توليد قوة تأثيرية (بمعنى فاعلية Efficacy) لقوة الفكر، والتى هى «قوة قوة الفكر».
هكذا إذن المسألة، مجابهة عورات النظام الدولى تحتاج إلى تحول معرفى يقوم على فكر يصنع القوة التى تجعله مؤثرًا فى الأحداث والمسارات (المستقبل بين فكر القوة وقوة الفكر - المكتبة الأكاديمية - 2006).
• • •

ثالثًا - مأسسة التحول

تبدأ المأسسة بتشييد «بوابة التحول»، والتى من خلالها يمكن الولوج إلى «منصة قوة الفكر». أما عن اكتمال نضج المأسسة فيتحقق بالحفاظ على «انتماءات قوة الفكر».
1- بوابة التحول - تصاعد قوة الفكر:
يتشكل مفتاح البوابة -أساسًا- من ثلاثة عناصر، «التفكير العلمى»، و«الجماعية»، و«حركية المعرفة». عندما تتناغم فاعليات هذه العناصر يبدأ التحول، بظهور قوة الفكر، وبتصاعدها.
2- بناء المنصة اللازمة للتحول - منصة قوة الفكر:
فى ظل تصاعد قوة الفكر تتطور «البنى الفكرية»، وتتحسن تشابكاتها مع بعضها فى عموم الحركيات والمسارات. هذا، وتتشكل العناصر الأساسية للبنى الفكرية (الخاصة بقوة الفكر) من كل من «الحكماء» (والذين يكونون -عادة- نواة لجماعية المفكرين)، و«العاملون فى مجالات الفكر»، أى المفكرون من النشطاء والأكاديميين. ذلك إضافة إلى من يمكن اعتبارهم «أنبياء قوة الفكر»، والذين يُطلق عليهم المُبَلِغون Whistleblowers، ويكونون عادة من أشد المقاومين للفساد، على غرار جوليان أسانج، وإدوارد سنودن.
3- انتماءات قوة الفكر:
إذا وُجدت قوة الفكر فى غياب انتماءات محددة، وواضحة، فإنها تتآكل، أو تنحرف، أما فى وجود الانتماءات فإن تعاملاتها مع محدوديات ومشكلات الواقع تكون أقوى ما يمكن.
يرجع السبب فى ذلك إلى دور الانتماءات كأداة لتنقية الفاعليات من أية تناقضات.
وعن مسطرة الانتماءات فإنها تتشكل من ثلاثة مستويات رئيسية، بدءا من الانتماء العقائدى (الدينى أو الفلسفى.. إلخ)، وصعودًا إلى مستوى الانتماء للوطن، ثم إلى أعلى المستويات، الانتماء للإنسانية.
• • •

رابعًا- الأهداف الجزئية الأكثر إلحاحًا- إنجاز ما ينبغى أن يكون:

تختص هذه الأهداف بالقفز الممنهج إلى ما تحتاجه البشرية لتخطى عورات النظام الدولى القائم، وبالتالى فهى تُعنى بالتحول إلى إنجاز «ما ينبغى أن يكون»، والذى يتجسد فيما يلى:
1) التحول عن تجريم معاداة السامية:

يحتاج العالم ككل، شعوبًا وحكومات، إلى التمسك بمجمل حقوق الإنسان، طبقًا لمرجعية الإعلان العالمى لحقوق الإنسان (1948). وذلك بحيث أن أى اتجاهات أو محاولات لفرض ما يُدعى بحقوق إنسانية ما، من خارج نطاق صيغة ومواد الإعلان العالمى لحقوق الإنسان، إنما تمثل حيودًا عن الإنسانية، وبالتالى تراجعًا عما ينبغى أن يكون.

طبقًا لذلك، يُنظر إلى مسألة تجريم العداء للسامية من زاويتين. أولًا، لو أن المقصود بتجريم العداء للسامية هو تجريم العداء لليهود فإن هذا التجريم وارد تمامًا كتطبيق مباشر للإعلان العالمى لحقوق الإنسان، والمتوافق عليه عالميًا. ومن ثم، لا حاجة إلى حوكمة التعامل مع العداء لليهود من منظور يأتى من خارج حقوق الإنسان، حيث من ناحية الشكل، يكون فى ذلك توجهًا عنصريًا، وبراجماتيًا يكون هكذا وضع صادرًا عن مصالح خاصة، بعيدة عن مصالح المنتمين لليهودية.

ثانيًا، لو أن المقصود هو تجريم العداء للصهيونية فهذا التجريم فى حد ذاته لا يجوز، لأنه يكون تجريمًا لحقوق الإنسان، حيث الصهيونية تعنى أيديولوجية سياسية، وليس ديانة، وحيث لا يمكن القبول بتجريم الرؤى المناقضة (أو الناقدة) للأيديولوجيات.

لذا، فما يُشار إليه باعتباره عداء للسامية هو نوع من التستر العنصرى للأيديولوجية الصهيونية خلف رداء دينى.

بناء على ذلك، لا معنى لمسألة العداء للسامية ما دام يوجد اتفاق عالمى لحماية كافة تنوعات حقوق الإنسان، أيًا كانت الانتماءات، دينية أو غير دينية، يهودية أو غير يهودية.

وعليه، يكون فى تخليص العالم مما يسمى الاتهام بالعداء للسامية فتحا لآفاق من الحرية والسلام لجميع البشر، حيث يتحرر الجميع من تسلطات عنصرية الأيديولوجيات، صهيونية أو غير صهيونية، وحيث تتوافر لليهود الحماية بالتساوى مع بقية البشر.

وكتطبيق عملى للمطروح هنا يكون فى تجريم العداء للسامية تجريمًا لليهود الذين خرجوا فى تظاهرات، أو ساهموا فى مواقف، تدين ممارسات إسرائيل، وتطالب بتحرير فلسطين. وهكذا ينكشف الزيف الصارخ، بشأن تجريم العداء للسامية.

2) الاعتراف بالانتهاكات الإنسانية التاريخية للبشر (كتلك التى جرت للسكان الأصليين فى أمريكا، وللأفارقة ولشعوب شبه القارة الهندية)، والاعتذار عنها.

3) التأكيد على إنسانية الإنسان فى كل مكان، بما يكمن فيها (أى إنسانية الإنسان) من خصوصيات، وما تحمله من إمكانات وآمال، الأمر الذى لا يستقيم بغير «الرجوع الكامل عن المركزية الغربية».

4) التوصل إلى آليات وأدوات يكون من شأنها تجنيب العالم لشرور التأثيرات السلبية للتراكمات المالية وللاحتكارات على استراتيجيات التنمية البشرية ومساراتها.

هذا، وتتضمن العائدات المهمة، والممكنة، للانشغال بـ«ما ينبغى أن يكون»، استنهاض ثقافة احترام الآخر، وتفعيل قيم التعددية والتنوع، والاجتهاد من أجل منع هيمنة فكر القوة على قوة الفكر.

• • •

ختامًا؛ وماذا بعد؟ يكاد يكون من المستحيل تحسن أوضاع العالم دون إعادة هيكلة حوكمته، الأمر الذى يتطلب، أولًا وقبل كل شىء، اضطلاع المفكرين بمسئوليتهم (يا مفكرو العالم فكروا معًا - الشروق 16 أبريل 2024).

وأما فى النكوص عن ذلك فيكون العالم بأسره، وليس فقط غزة أو الشرق الأوسط، عرضة لمآسى جنون القوة. هكذا وضعية تكون مولدة ومدعمة لشواشات التطرف شمالًا وجنوبًا، من الجميع ضد الجميع. من الوارد عندها أن يصل الشارع السياسى للقطب الأوحد إلى تغير درامى فى تضاريسه.

خبير صناعة الأدوية ورئيس هيئة الرقابة الدوائية السابق



غزة .. ما بين اليوم التالى والمتبقيات



محمد
رءوف حامد

آخر تحديث: الخميس 15 أغسطس 2024 - 7:45 م بتوقيت القاهرة

يطل علينا من وقت لآخر مخطط بمسمى «اليوم التالى»، والذى يعنى ترتيبات إسرائيل (وحلفائها) لأوضاع غزة (والمقاومة الفلسطينية) بعد توقف إطلاق النار.

تكمن إشكالية هذا المخطط فى لاصدقيته، حيث صناعه هم أنفسهم القائمون على الإبادة الجارية فى غزة. وبالتالى، فمهما تلونت صياغته، يظل مقصده إرجاع قضية الحق الفلسطينى إلى ما كانت عليه من انحباس مزمن قبل 7 أكتوبر.

ذلك يعنى الالتفاف حول معنى أحداث غزة فى كشفها لعوارات النظام الدولى، وفى بزوغ اصطفاف فى الرأى العام العالمى مع الحق الفلسطينى، وضد بربرية إسرائيل وعنصريتها.

هذه الوضعية تستدعى الإشارة إلى نظرية الشواش Chaos، والتى تقول بأنه من شأن الأحداث الصغيرة أن تؤدى إلى ما لا يخطر على البال، تماما مثل حدوث عاصفة على الساحل الأمريكى الشرقى نتيجة «رفرفة جناح فراشة» فى اليابان.

بالاعتبار لنظرية الشواش نتساءل: ماذا يمكن أن تكون عليه الانعكاسات المستقبلية لأحداث غزة، والتى جعلت الإنسانية، فى كل مكان، ترفرف تألما وحزنا وقهرا؟

هنا، يأتى الإدراك بأن المستقبليات الناجمة عن أحداث غزة تتخطى التفافات «اليوم التالى»، ذلك لأنها قد شكّلت (وتشكل) ما يمكن وصفه بالمتبقيات Residuals، والتى يمكن لكل منها أن تُنشئ تنوعات من الشواشات Chaoes.

وإذا كانت «المتبقيات» كمصطلح تشير إلى ما يستمر وجوده على مدى الزمن من كيماويات أو مواد مشعة فى الأرض، أو فى الهواء، أو فى الأجسام ..إلخ، فماذا يمكن أن تكون عليه «متبقيات أحداث غزة»؟

• • •

ببساطة، وبعيدا عن ترتيبات «اليوم التالى»، ستسكن المتبقيات الناجمة عن أحداث غزة، ليس فقط فى النفوس والعقول، وإنما أيضا فى الزمان، حيث تمتد تأثيراتها وانعكاساتها بشكل يكاد لا تكون له حدود، مصحوبا بسلاسل لا نهائية من الشواشات.

ذلك يعنى تخطى المحتملات والممكنات المتولدة عن أحداث غزة لمنطق «اليوم التالى»، بل ووصولها إلى مسارات من نوع «ما ينبغى أن يكون» What ought to be، سواء بالنسبة للحق الفلسطينى، أو النظام الدولى.

من هذا المنظور يتناول الطرح الحالى طبيعة إشكاليات الشأن العام الدولى، وما طرأ عليها من مستجدات محملة بالمتبقيات، فيما بعد 7 أكتوبر.

أولا: طبيعة إشكاليات العالم قبل «7 أكتوبر»:

مع تعدد مشكلات وكوارث الشأن العام العالمى يكون الفهم لطبيعتها، من حيث نوعية التوجهات التى أدت إليها، أعظم أهمية من مجرد إحصائها، أو مجابهة كل منها على حدة.

هنا، يمكن الإشارة إلى أن الإشكاليات التى يعانى منها العالم تتمثل فى ملمحين رئيسيين، أولهما ما تشهده العلاقة بين «الفكر والقوة» من انحرافات، وثانيهما ما يترتب على ذلك من «سلاسل نقص القيمة»، دوليا ومحليا.

(1)عن انحرافات العلاقة بين الفكر والقوة:

بينما ينهض «الفكر» بالاعتماد على الحس المعرفى، فإن «القوة» تنشط من خلال العناصر (والعوامل) المادية، على غرار المال والسطوة الفيزيائية ..إلخ. وبرغم التباين التام بين معناهما (الفكر والقوة)، إلا أن الجدلية بينهما شديدة، وتبدأ بحقيقة أن للفكر قوة، وأن

للقوة فكر (المستقبل بين فكر القوة وقوة الفكر – المكتبة الأكاديمية 2006).
معنى ذلك أن عموم أوضاع البشر (بحلوها ومُرها) تَنتُج من خلال وضعية التوازن بين كل من «فكر القوة» و«قوة الفكر»، حيث يؤدى الاختلال إلى حيودات وانحرافات.
لقد أدى الاهتمام بهذا التوازن، بعد الحرب العالمية الثانية، إلى نشأة عديد من التوافقات والاتفاقيات والكيانات، على غرار منظمة الأمم المتحدة، والإعلان العالمى لحقوق الإنسان، والبنك الدولى.. إلخ.
هذا، وبرغم ذلك كان العالم مؤرقا بما سُمىّ بالحرب الباردة، والناجمة عن سعى كل من قطبى العالم (الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة) للحفاظ على مكانته فى توازنية الفكر والقوة، مع محاولة التمدد لقوته.
أثناء الحرب الباردة كان «فكر القوة» هو المتحكم فى موضع رمانة الميزان بين الطرفين، بينما كانت قوة الفكر تبزغ لديهما فقط عند الضرورة، لتجنب الصدام المسلح بينهما (أزمة الصواريخ الكوبية نموذجا).
من جانب آخر، أرست بلدان العالم الثالث مفهوم «الحياد الإيجابى»، وأسست كتلة عدم الانحياز، كمحاولة للتأثير النسبى من خلال «قوة فكر».
وبرغم ملامح التوازن فى النظام العالمى ثنائى القطبية، إلا أن بعض الحيودات والمآسى قد جرت، مثل الحرب على فيتنام، وانقسام كوريا.
كل ذلك، وغيره، بينما القوى العالمية تتلامس برفق نسبى مع إشكالية غرس إسرائيل فى قلب المنطقة العربية.
بعدها، فى أواخر الثمانينيات، مع تلاشى القطبية الثنائية، وبزوغ هيمنة القطب الأوحد، بدأ «فكر القوة» من جانب الولايات المتحدة، يكون هو المهيمن، وبدون توازنات فاعلة.
وهكذا، مع تفرد الولايات المتحدة كقطب أوحد، أخذت ممارسات فكر القوة تتضخم، بينما تنحسر فاعليات قوة الفكر. من بين علامات ذلك يمكن الإشارة إلى:
• الحرب الشرسة طويلة المدى فى كل من أفغانستان والعراق.
• بزوغ (واستقواء) النيوليبرالية كقوة (رأسمالية شرسة) موجهة للعالم من خلال الإدارة الأمريكية، ومتضافرة مع الصهيونية العالمية، ومع ممارسات التطرف فى أى مكان فى العالم.
• تصاعد إيقاعات حماية القطب الأوحد (وحلفائه) للعنصرية والإرهاب الإسرائيليين.
• إقحام اتفاقية لحقوق الملكية الفكرية على اتفاقيات التجارة العالمية، مما أدى إلى إهدار عقد نقل التكنولوجيا للبلدان النامية.
• تجريم التصدى لجرائم الصهيونية.
2) عن سلاسل نقص القيمة:
فى ظل أحادية القطبية وهيمنة فكر القوة، تصاعدت سلاسل ممارسات نقص القيمة، دوليا ومحليا، ممثلة فى فاعليات الأنانية، والاتباعية، والفساد، وازدواجية المعايير، والمؤامراتيات، والإغراق فى الديون... إلخ.
لقد قاد ذلك إلى استفحال عورات النظام الدولى، والذى شهد ــ كمثال ــ التفاف أمريكا حول إرادة مجلس الأمن لتسهيل هجومها على العراق (2003)، ونهبه وتفتيته.

ثانيا ــ الشأن العام الدولى بعد 7 أكتوبر:
جاءت حركية المقاومة الفلسطينية فى 7 أكتوبر 2023 كمحطة تاريخية تدعو إلى إعادة التقييم، ليس فقط بخصوص الحق الفلسطينى، وإنما أيضا بخصوص مجمل أوضاع الشأن العام الدولى (غزة.. نقطة انعطاف النظام الدولى – الشروق – 30 يناير 2024).
فى هذا الصدد جاءت إشارة جوتيريش، أمين عام الأمم المتحدة، أمام مجلس الأمن: «أن هجمات حماس فى 7 أكتوبر لم تأت من فراغ»، وأنها «لا تبرر القتل الجماعى الذى تشهده غزة».
وهكذا، فى تصريحات جوتيريش تحذير من تمادى الإرهاب الإسرائيلى، والذى يجرى فى ظل عورات النظام الدولى.
لذا، صارت أحداث غزة بمثابة منصة لتقييم الشأن العام العالمى، الأمر الذى يتجسد فى عديد من المستجدات والإدراكات، والتى من قلبها تولد «المتبقيات».
فى هذا الصدد يمكن الإشارة إلى التالى:
1) ثبوت فرط الشراسة العدائية المزمنة للنظام الإسرائيلى ضد الإنسانية:
من معالم ذلك نجد:

• استمرارية قتل وتجويع وتعطيش أهالى غزة.
• تعمد الاغتيال النفسى للفلسطينيين قبل قتلهم جسديا، مثلا بمطالبتهم بالانتقال من الشمال إلى الجنوب ثم مطالباتهم بالعكس، مع تعمد تسليط النيران عليهم فى كل مرة، بعد إصابتهم باليأس المطلق Helplessness.
• التصريح بمرور سيارات الإسعاف لنقل المصابين، ثم تدميرها بمن فيها.
• تحطيم متواصل لجميع منشآت غزة.
• عدم الاستجابة للنداءات الدولية بإيقاف الإبادة.
• الكذب الإسرائيلى فى التبرير لعمليات الإبادة.
• إدمان إسرائيل لاتهام منتقديها بالعداء للسامية.
2) انكشاف الترابط العالى بين فكر القوة والمؤامراتيات:
من أمثلة ذلك:
• تحالف حكومى غربى ــ إسرائيلى مكثف، بقيادة الولايات المتحدة.
• الانتخابات الرئاسية الأمريكية كحلبة لإظاهر الدعم لإسرائيل، برغم الحركيات الشعبية الأمريكية المضادة.
• معاداة الإدارة الأمريكية لجوليان آسانج، وإدوارد سنودن، بسبب أدوارهما فى كشف المؤامراتيات.
3) التصاعد الحاد لموجات الرفض الشعبى العالمى:
من أهم هذه الموجات تلك التى شهدتها الجامعات الأمريكية، وحملات اليهود المناصرين للحق الفلسطينى.
4) خلخلة بين الشعوب والحكومات القائمة:
فى عديد من البلدان، الأجنبية والعربية، أدت أحداث غزة إلى تدنى رضاء الشعوب عن مواقف وتوجهات حكوماتها، أو الأنظمة التى تمثل هذه الحكومات، مثل جامعة الدول العربية.
لقد نالت هذه الوضعية من صدقية السلطات السياسية، الأمر الذى يُتوقع أن تكون له انعكاساته المحلية، وتبعاته العالمية.
5) بزوغ نوعى جديد لملامح قوة الفكر:
مع التعاظم الإرهابى لممارسات فكر القوة، بواسطة إسرائيل وحلفائها، صارت «قوة الفكر» تمثل المعادل الموضوعى المفتقد لمواجهة «فكر القوة». فى هذا الشأن تجدر الإشارة إلى ما يلى:
• تكرار استقالة شخصيات أمريكية حكومية مسئولة.
• مبادرات يهودية مناهضة للصهيونية.
• المبادرة الجنوب إفريقية فى توجيه الاتهام للكيان الإسرائيلى، والمطالبة بمحاكمته.
• صدور إدانات صريحة فى الرأى الاستشارى لمحكمة العدل الدولية ضد الممارسات الإسرائيلية.
وهكذا، ما نجم عن أحداث غزة يجعل فى متبقياتها منصات أخلاقية/سياسية للتغيير، الأمر الذى يستحق تناولات خاصة.
خبير صناعة الأدوية ورئيس هيئة الرقابة الدوائية السابق



ليست مجرد انتفاضات جامعية



محمد
رءوف حامد

آخر تحديث: الخميس 30 مايو 2024 - 7:45 م بتوقيت القاهرة

بالرغم من أن انتفاضات الجامعات الأمريكية قد جذبت (وما زالت تجذب) انتباه عموم الناس فى كل أرجاء العالم، إلا أن مكانتها، فى ضوء انعكاساتها الممكنة على الأوضاع الأمريكية والدولية، تستدعى الإبحار أكثر وأكثر فى معانيها ومستقبلياتها.

لقد ضمت هذه الانتفاضات أساتذة إلى جانب الطلاب، كما أن أحداثها تماست وتقاطعت مع مواطن خلل تعترى الشأن العام فى الولايات المتحدة وفى العالم أجمع، فضلا عن امتداد إشعاعاتها إلى جامعات غربية أخرى.

التميزات النوعية الجديدة

تميزت انتفاضات الجامعات الأمريكية عن كل الانتفاضات الشبابية المعاصرة. أنها لا تختص بمصالح فئة معينة من الشباب، مثل التظاهرات الأمريكية الرافضة للتجنيد فى حرب فيتنام (ستينيات القرن الماضى)، ولا تتشابه مع موقف الشباب المصرى من أسباب الهزيمة فى معركة مع العدو، كما كان الحال (فى 24 فبراير 1968) بشأن ما عُرف برفض أحكام الطيران، وكذلك لم تنشأ نتيجة لسأم الشباب من تقليدية ممارسات السلطات، كما كان شأن تظاهرات الشباب الفرنسى (مايو 1968).

لقد جاءت الانتفاضات الجامعية الأمريكية كتعبير إنسانى راق فى الحس بالمسئولية، وعميق وشامل فى رفض هيمنة التآمرات الإسرائيلية والدولية ضد الحق الفلسطينى.

عمليا، تساهم هذه الانتفاضات فى التدشين لما طرأ فى أعقاب 7 أكتوبر 2023 من اتجاه لإحداث انقلاب تصحيحى لما يسود العالم من ظلاميات. إنه الاتجاه الذى صار من شأنه، ولأول مرة، بدء التعامل مع محاكمات دولية وإجراءات عقابية لإسرائيل.

فى نفس الوقت، جاءت انتفاضات الجامعات الأمريكية فى توافق مع ما قد بدأ يطرأ على المجتمعات الأمريكية من تصاعد للإدراكات بشأن مواطن الخلل فى النظام السياسى. هنا تجدر الإشارة إلى تصورات سابقة، من خارج وداخل الولايات المتحدة، تتعلق باحتمالية تعرض الشارع السياسى الأمريكى للتغيير (مستقبل جديد للثورات ــ ثورة المفكرين ــ

موقع الحوار المتمدن ــ 2 فبراير 2013/ العدد 3991، وكذلك كتابا لبيرنى ساندرز .B Sanders ــ «مستقبل للإيمان بثورتنا» ــ 2016، و«رؤية إرشادية للثورة السياسية» ــ 2017).

أما عن موقع انتفاضة الجامعات الأمريكية من الزمن فقد جاءت بعد نجاح تراكمية النضال الفلسطينى على مدى حوالى قرن، ووصوله ــ كمقاومة ــ إلى منظومية ثورية، وذلك بالتشابكية بين الضرورة والمعرفة العلمية والحق الإنسانى (المنظومة الجديدة للثورة ــ الأهرام ــ 10 أكتوبر 1988)، الأمر الذى قد تجسد لاحقا فى منصة «7 أكتوبر 2023» وتتابعاتها.

وهكذا، «الثورة الفلسطينية» من جانب، وتصاعد الإدراكات لعوار الشأن العام الدولى من جانب آخر، قد حوّلا العالم، ليس فقط للإيمان بالحق الفلسطينى، وإنما أيضا لاشتداد الحاجة إلى معالجة عورات النظام الدولى. من هنا، تمثل الانتفاضات الجامعية الأمريكية مساهمة نوعية بالغة الدلالة، محليا، وعالميا.

السبب فى أن الانطلاقة كانت أمريكية؟

لكن يبرز تساؤل استراتيجى: لماذا بزغت هذه الانتفاضات، بداية، فى الولايات المتحدة بالذات؟!

ربما تكمن الإجابة فيما تمثله أمريكا بكونها القوة العالمية الأكبر فى البطش، سواء فى دعمها لإسرائيل بشأن اغتيال الحق الفلسطينى، أو بخصوص أدوارها الأخرى فى العديد من البلدان، كالعراق وأفغانستان وأوكرانيا، أو باعتبارها صاحبة أكبر شبكة للقواعد العسكرية فى كل مناطق العالم.

إضافة إلى كل ذلك، للإدارة الأمريكية الريادة فى ابتداع «تلبيس» ممارساتها، المضادة لمصالح الشعوب، بمفاهيم مزيفة. من أمثلة ذلك مفهوم «الفوضى الخلاقة»، والمشتق من نظرية للعالم الاقتصادى جوزيف شومبيتر (1883 ــ 1950)، والتى تُعرف بالهدم البناء Creative destruction. ومن الثابت أن ليس لنظرية شومبيتر علاقة بالسياسة، حيث تختص بالمتغيرات الاقتصادية المصاحبة للتطوير التكنولوجى، ذلك بينما قُصِد بالتحريف الأمريكانى تسويغ ممارسة «هدم الدول».

سر عنف الإدارة الأمريكية ضد الانتفاضات الجامعية

هذه الأمور، توضح الهيمنة العليا لـ«فكر القوة» فى الممارسات الأمريكية. فى المقابل، لم يتوقع الكثيرون أن تمارس السلطات الأمريكية فكر القوة هذا (وبعنف بالغ) ضد طلاب وأساتذة جامعاتها.

هنا يأتى الإدراك بأن جدلية فكر القوة ــ بطبيعتها ــ ترفع من قدر التطرف فى تكريس الفكر لصناعة القوة. ذلك يعنى تزايد التنامى للفكر المدعم لفكر القوة. إنه «فكر فكر القوة». هذا التنامى يصعد بالممارسات الفيزيائية للقوة إلى أعلى مستويات الشراسة (والهمجية).

ذلك أن فكر القوة لا يستجيب إلا للأفكار التى تدعم ممارسة القوة، مما يؤدى إلى غرق السلطة (الأمريكية هنا) فى دوامة التصاعد لكل من «قوة فكر القوة» والتوجهات (أو الأفكار) التى ترفع من قدر هذه القوة، أى «فكر فكر القوة».

من جنون القوة إلى قوة الفكر

هكذا جدلية توصل من يخضع لها إلى «الجنون» (أى «جنون جدلية فكر القوة»)، تماما كما هو حال ممارسات الإدارة الأمريكية ضد القانون الدولى، وكما هو حال ممارسات الكيان الإسرائيلى المتواصلة (والفوق خيالية) لإبادة غزة، شعبا ومكانا.
وهكذا، أدت حدة الانحرافات فى الجدلية الذاتية لفكر القوة، أمريكيا وإسرائيليا، إلى بزوغ الانتفاضات الجامعية (الجماعية)، والتى جاءت كمدخل (أو كعنوان) لمعادل موضوعى من نوع جديد، أمريكيا وعالميا، وهو «قوة الفكر».
المسألة إذن أن الانتفاضات «الجماعية» فى الجامعات الأمريكية تمثل الولوج إلى «قوة الفكر».
بمعنى آخر، يكون الجديد الذى تجسده انتفاضة الجامعات الأمريكية هو كونها نموذجا تمهيديا لممارسة قوة الفكر (من جانب الكيانات الأكاديمية) فى مجابهة فكر القوة، القادم من منصات السلطات السياسية (بجناحيها الإدارى والبوليسى). وعليه، يمكن الفهم، وعدم الاستغراب، بخصوص ممارسات السلطات الأمريكية لعنف فكر القوة فى مواجهة الملامح البازغة لقوة الفكر، والقادمة من الكيانات الجامعية، والتى تخطت أعدادها المائة جامعة.
ما يجدر هنا الانتباه إليه أن الانتفاضات الجامعية الأمريكية، كمدخل لممارسة قوة الفكر، تتكامل مع مجمل الخبرات والاتجاهات الفكرية والسياسية التى كانت قد بدأت فى الظهور منذ فترة بشأن انتهاء صلاحية النظام السياسى الأمريكى القائم على لعبة الكراسى الموسيقية بين حزبين سياسيين يتناوبا السلطة، تحت المظلة الحارسة للنظام السياسى، والمتمثلة فى القوى (والمصالح) الرأسمالية.
أيضا، يجدر الانتباه إلى أنه بالإضافة للتلامس بين الانتفاضات الجامعية من جهة، والممارسات الفكرية الناقدة للنظام السياسى الداخلى فى أمريكا، من جهة أخرى، فإن الطلاب الممارسين لهذه الانتفاضات سيكونون، عاجلا أم آجلا، من أصحاب الأصوات الانتخابية، وبالتدريج سيكون من بينهم قياديون، فى كل الكيانات والمؤسسات الأمريكية.

تضاريس صراعية عالمية من نوع جديد

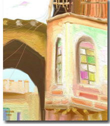
ربما تكون هكذا تطورات معضدة ــ فى عزمها ــ لمسارات توليد المعرفة الإنسانية التغييرية الجديدة، والتى تحتاجها الشعوب لضبط مساراتها فى مجابهة تضافريات قوى التسلط والهيمنة على عموم مصالح البشر. إنها القوى التى تتجسد تحديدا فى معايير الرأسمالية الشرسة، وفى النزعات الصهيونية، وفى سلوكيات التطرف (كراس «مستقبل جديد للثورات ــ المكتبة الأكاديمية ــ 2019»).
المسألة إذن أن انقلابا سياسيا عالميا يبزغ الآن، من منصة الحق الفلسطينى، لمجابهة قوى التسلط على العالم. بداية النشأة لهكذا مسار، بالاعتماد على ممارسة قوة الفكر فى مجابهة فكر القوة، يمكن أن تكون علامة على فاعلية نهج حداثة ما بعد الحداثة (كراس: المستقبل بين فكر القوة وقوة الفكر ــ المكتبة الأكاديمية ــ 2006).

يبدو إذن أن ظلاميات الأوضاع الدولية والسياسات المهيمنة قد أدت إلى بدء تشارك عموم الناس العاديين وأصحاب الحق، وفى قمتهم طلاب وأساتذة مؤسسات جامعية كبرى (إضافة إلى ما جرى إعلانه مؤخرا من اعتراف حكومات غربية بفلسطين كدولة)، فى الإقدام على ممارسة قوة الفكر فى مواجهة هيمنة أنانيات وانحرافيات أصحاب فكر القوة (كنموذجى الإدارة الأمريكية والكيان الإسرائيلى).
بمعنى آخر، أدى الاستيعاب العالمى المتصاعد للحق الفلسطينى إلى بزوغ (أو يقظة) قوى إنسانية عالمية جديدة تنتبه إلى (وترفض الانصياع) لعورات دولية مزمنة صنعتها غُلبة (أو طغوة) تحالفات قوى الأنانية والهيمنة على الشعوب، شمالا وجنوبا.
هكذا مشهد صراعى/ عالمى يدفع إلى التفكر بشأن ما يمكن أن يكون من دور للفكر الإنسانى التغييرى فى مجابهة قوى التسلط على العالم، سواء من حيث طموحات وإمكانات وأدوات هذا الدور، أو من حيث ما يمكن أن يجابهه من عراقيل والتفافات.
وهكذا يمكن القول بأن الإنسانية مقبلة على تضاريس صراعية عالمية من نوع جديد، حيث الصراع لن يكون بالضرورة بين الدول وبعضها، بقدر ما يكون ــ فى الأساس ــ بين عموم الناس العاديين فى كل (أو معظم) شعوب العالم (ومن يمثلونهم من منظمات أهلية وكيانات فكرية/ أكاديمية)، من جانب، وقوى التسلط العالمى من جانب آخر.

فى فلسفة الوجدان الدولى الجديد (3/3) (ضرورات فكرية جديدة)

محمد رؤوف حامد

2025 / 9 / 30
العولمة وتطورات العالم المعاصر



التناول الحالى الجزء الثالث والأخير من المقال الرابع فى مجموعة مقالات خاصة ب"الوجدان الدولى الجديد"، أو هو - عمليا - المقال السادس فيها.

، المقالة الأولى بعنوان " الوجدان الدولى الجديد – تضاريسه ومآلاته" (صدرت فى 10 يوليو 2025). بعدها
ت المقالة الثانية بعنوان " حركيات الوجدان الدولى الجديد" (14 أغسطس 2025).
، المقالة الثالثة فقد كانت بعنوان "التحولات الوجدانية المجتمعية" (28 أغسطس 2025).
انت المقالة الرابعة بعنوان رئيسى "فى فلسفة الوجدان الدولى الجديد"، والتى تتضمن ثلاثة أجزاء، صدر منها جزئين (3/1) و(3/2)، فى 18 و 23 سبتمبر، على الترتيب.

، فى هذا الجزء الثالث (والأخير - 3/3) من المقال الرابع، والذى يحمل عنوانا رئيسيا "فى فلسفة الوجدان الدولى الجديد"، تصل التناولات إلى البند الخامس.

خامسا: " ضرورات فكرية لم تطرأ على العالم من قبل "

ں هذه المحطة الختامية، لما صدر من "أطروحة الوجدان الدولى الجديد"، بالإشارة إلى الحاجة القصوى لسعى المفكرين، من خبراء وكتاب وأكاديميين ..إلخ، لممارسة مسؤلياتهم تجاه تصحيح
ـاع الشأن العام فى عموم الفضاء الدولى، وفى بلدانهم، فى الشمال والجنوب على السواء.

الحاجة القصوى للفكر و للمفكرين؟

الحاجة القصوى تتأسس على ثلاث اعتبارات:
ـصول الشأن العام الدولى (ساحبا معه الشأن العام المحلى فى كافة المجتمعات تقريبا) إلى لحظة مفصلية فى العجز والتطرف والإرهاب، الأمر الذى قاد إلى تلاشى صدقية النظام الدولى وفقدانه
ـه، وبالتالى صعوبة، بل واستحالة، استمراره على وضعه الحالى.

ن الوضعية الدولية الحالية تنضح بالحاجة إلى البحث عن تحولات منظومية إلى الأحسن.

نه برغم مايتوفر لدى العقل البشرى من إمكانات استراتيجية كامنة فى عقول مفكريه، أكاديميين وخبراء وكتاب .. وغيرهم، إلا أن الشأن العام الدولى محروم من زادهم "الجماعى"، كمنصة (أو آلية)
ـة، للتوصل إلى ماينبغى أن يكون من تحولات إلى الأحسن.
فاللحظة التاريخية الحالية تتطلب أن يترك المفكرون الأبراج الفردية (أو آل Solo)، التى شرنقوا (وكبّلوا) أنفسهم فيها، وأن يتحولوا إلى فاعليات جماعية تُعين فى تعظيم استفادة البشرية من زادهم
ـلى الجماعى".

ـذا الإتجاه تأتى أهمية أمور، أو أهداف جزئية، مثل:

ـشاف وصياغة معايير وقيم "الوجدان الدولى الجديد".

ـيك سلبيات العولمة، وتحديد ماتكون هناك حاجة إليه فى التعامل مع هذه السلبيات، خاصة لتصحيح سلاسل وتبعات تداعياتها.

ـعرف على (والتوصل إلى) مايمكن من إدراكات، وأدوات، يكون من شأنها استيعاب "عزم" الوجدان الدولى الجديد، ودعم مخرجاته وطموحاته.

ـتهام بالعداء للسامية:
ـم الإعتراف بما يُدعى "جريمة العداء للسامية"، وهو أمر كان قد جرى تناوله سابقا، وبتفصيل (من غزة إلى إعادة حوكمة العالم – الشروق 8 أكتوبر 2024).

ـوكمة ممارسات السلطات:
ـصل إلى توصيف منهجى / علمى لأوضاع وتوجهات وممارسات السلطات الحاكمة، خاصة فى بلدان الجنوب.

ـكار، وتصميم، وصياغة الأهداف (والمسارات) المطلوب من سلطات بلدان الجنوب الإلتزام بها (وإنجازها)، وحتى تعبر مجتمعات هذه البلدان حواجز، أو بوابات، التحول إلى نعمة إنجاز التقدم.
، كهدف جزئى، فى هذا الخصوص، يمكن الإشارة إلى مايتوجب رفضه مما قد يمثل تطرفا فى ممارسات أولى الأمر (بمعنى السلطات). من خلال ذلك يجرى التوصل إلى "قائمة ممنوعات" بشأن
ـسات السلطات مع شعوبها، بمعنى قائمة "حوكمة للسلطات".

ـرورة تضمين كل بند من قائمة الممنوعات، المشار إليها أعلاه، ملحقا يختص بمستويات (أو درجات) كمية quantitative يقوم عليها التقييم. مثلا، "من صفر إلى 4"، أو "من سيء جدا إلى جيد
، الأمر الذى يمكن أن يساعد فى تطبيق التقييم "الكمى المجتمعى" Quantitative societal evaluation لممارسات السلطة.
عندئذ "القائمة المنهجية للممنوعات"، والتى تساهم فى الحوكمة الفكرية للسلطة فى بلدان العالم ككل، وفى بلدان الجنوب على وجه الخصوص.
كمثال، يتعلق بهكذا شأن تأتى الممارسة الفرنسية /الليبية الفاسدة، والتى اقتضت مؤخرا إدانة الرئيس الفرنسى الأسبق نيكولا ساركوزى وسجنه. فى هكذا حكم تتجسد إدانة صارخة لقمتين تبوءتا
ـة فى فرنسا وليبيا (أى فى بلد شمالى وآخر جنوبى)، فى زمن سابق.
العموم، من شأن حوكمة ممارسات السلطات المساهمة فى دعم السلوك الموضوعى تجاه التصحيح والحوكمة للشأن العام العالمى.

ط عمليات (وفاعليات) التقدم المجتمعى ببعضها بعضا، على أن يجرى ذلك من خلال "برامج معرفية/علمية" لقياس وتطوير "معدلات" الربط والإنجاز، بحيث يتضمن العائد المستهدف المجتمع ، بجميع شر ائحه، وليس بالذات فئات معينة.
، نوعية عمليات (وفاعليات) التقدم المجتمعى فإنها يمكن أن تتضمن المساواة - التعليم – عدالة الفرص فى ممارسة الأعمال – البحث العلمى والتطوير التكنولوجى - مستويات الوعى والثقافة - ق والواجبات بشأن الحاجات الأساسية (مثل السكن والصحة والغذاء ..إلخ).

كوت عنه بشأن الأمن:
نتباه إلى قدر صحة الممارسات الديمقراطية، وقدر التزام أجهزة الأمن الشرعى (منظومتى الجيش والشرطة) بهيمنة النظام السياسى، المتجدد بالأساليب الديمقراطية المعروفة عالميا، وبالتطبيقات ورية على المستويات المحلية.

رورة القضاء على (ومنع نشأة) قوى أمن غير شرعى، أى قوى أمن من خاج منظومتى الجيش والشرطة.

ـنيف ورقمنة "الأمن البشرى" ومتطلباته، على مستوى المجتمع ككل، وعلى مستوى الأفراد، الأمر الذى يتطلب مقاييس للإلتزام بالكرامة، وبحقوق الإنسان، وبسيادية القانون.

مايؤكد الحاجة القصوى للضرورات الفكرية السابق الإشارة إليها مايشهده العالم من ديكتاتوريات فى أنظمة الحكم، وخاصة فى عديد من بلدان الجنوب، فضلا عن ظهور عمليات هجوم على يات والأنشطة الأكاديمية فى بلدان الشمال والجنوب على السواء.

ـة إلى "الحس" و "التفكر":

هاية هذا الطرح الأولى للوجدان الدولى الجديد ، تجدر الإشارة إلى مسائل تتعلق بالحاجة إلى "الحس والتفكر" من كل الأحرار، من مواطنين ومفكرين، فى كافة بلدان العالم، ويمكن الإشارة إليها لى:

، مسألة "الضرورات الفكرية" تبزغ من تضاريس تردى الواقع الحياتى الذى يعيشه العالم الآن، والذى يهيمن عليه "فكر القوة"، الأمر الذى يتطلب السعى فى بناء "قوة الفكر" (المستقبل بين فكر وقوة الفكر- المكتبة الأكاديمية 2006). إنه مسار لايتحقق بغير التفاعل التواصلى الفكرى المجتمعى مع أهداف جزئية كتلك الواردة أعلاه.

يمكن أن يطرأ على ذهن القارىء، وعلى ذهن أى مهتم بالشأن العام، أن مسألة الوجدان الدولى الجديد، والتى ذُكرت فى هذه السلسلة من المقالات (والتناولات) قد تكون مجرد طرحا مثاليا. هكذا يمكن أن يكون واردا بنسبة عالية.
، أتصور صحة هذا الرأى. وأيضا، أؤيد صحة ماقد يراه البعض من أن المطروح هنا لايخرج عن كونه فكرا نظريا.

حة .. مابين النظرى والعملى:
عن وجهة نظر الكاتب تجاه التصورين، "مثالى" و/أو "نظرى"، فيمكن إدراجها فى عدة نقاط:
الفعل، ماجرى طرحه فى هذه المقالات يمكن أن يُرى باعتباره مثالى و/أو نظرى. لاشك فى ذلك، ولكن (.. 2).

هناك حقيقة من المفضل أستحضارها هنا، وتتمثل فى أن أى من (أو معظم) الممارسات التطبيقية الإيجابية، على مدى التاريخ البشرى، تتأسس (أو تبدأ) - فى الأصل- فى صورة مثالية و/أو نظرية اريس المسافة بين النظرية والممارسة – دورية أدب ونقد – مجلة الثقافة الوطنية الديمقراطية - العدد 416 - ديسمبر 2022).

ن الواجبات الإنسانية بشأن المعضلات الكبرى تستدعى الإجتهاد (بل والإبحار) فى الإتجاه إلى إنجاز ماينبغى أن يكون What ought to be.

ن الأطروحة، سواء هى مثالية أو نظرية، تصل إلى أرض الواقع بالتطبيق عندما تكون هناك "حاجة" Need إليها ، وبحيث لاتكون مجرد رغبة Desire ، فشتان الفارق بين الحاجة والرغبة، أمر قد تطرقت إليه هذه الأطروحة فى أجزائها الأولى (التحولات الوجدانية المجتمعية – خصائص ومحاذير- الحوار المتمدن 28 أغسطس 2025).

ن تحول الأطروحات التى تكون هناك حاجة إليها (سواء هى مثالية أو نظرية) إلى عتبة مسار (ات) الإنجاز لايمكن الوصول إليه إلا بالتناولات الفكرية/الممارساتية الجادة، ممن يرون فيها مايكون ، حاجة إليه.
بمعنى أن الأطروحة عند التنفيذ تكاد تكون مشبعة برؤى وخبرات طرأت عليها من خارجها، ومن خارج من أصدرها فى البداية، حيث عندها تكون أكثر تكاملا واكتمالا، وتكون واردة عن (وملكية ن ساهموا فى إنضاجها، أو إلى الجماعية التى أدت إلى تطويرها.

يضا، من أخطر (وربما من أسوأ) المسائل التى تمس معظم المثقفين، وتتعلق بالفكر والتفكر، تأتى إشكالية المنهجية فى التعامل مع الأشياء والأوضاع.

لمنهجيات (أو فى الطرق Methodologies):
ذا السياق، وكنماذج، يجدر جذب الإنتباه، وبإيجاز، إلى مايلى:
وء (أو عدم حصافة) الإعتقاد (من جانب أى إنسان) بالتفرد فى الرؤى (والمواقف) الخاصة بالشأن العام.
ـوء استخدام الوسائط الإجتماعية فى التعامل مع الإشكاليات المتعلقة بالشأن العام. فى هذا الإطار (وكمجرد مثال) نشير إلى ات "الإستخدام التنفيسى للفيسبوك" (الشروق – علاقة الشان العام بحركية الزمن – 24 أغسطس 2023).
ـوء مجابهة التطرف، من أى نوع وأى شكل، برد فعل تطرفى مضاد. حيث المجابهة تكون أكثر قوة واستدامه بالتفكر الإبداعى بشأن الخطوة، أو الخطوات، مابعد التالية، وليس فقط خطوة رد ،.

ا،
لتقدير لكل رؤية مخالفة و/أو إضافية، حيث بالفعل، العالم (بل الكرة الأرضية) فى خطر ناجم عن تطرفية وإرهابية "فكر القوة". ذلك بينما الإنقاذ يحتاج إلى جماعية (ومنهجية) "قوة الفكر"، و ـتها، بقدر الإمكان.
ى آخر، المستقبل المطلوب يرقد فى (أو ينبت من) تفكُر المفكرين، وحركيات الفاعليات الجماعية للفكر.

فى فلسفة -الوجدان الدولى الجديد- .. ومستلزماته (3/2) [الملائكية الفكرية والنبوة الجديدة - مكانة بلدان الشمال والجنوب]

محمد رؤوف حامد

2025 / 9 / 23
العولمة وتطورات العالم المعاصر



سبق، وعلى مدى أسابيع، بدءا من العاشر من يوليو 2025 ، صدرت أربع مقالات تشير إلى وجودية "الوجدان الدولى الجديد" وإلى بعض أبعاده. المقال الأخير (أى الرابع) إختص بفلسفة هذا دان. ونظرا للطول النسبى لهذا المقال (الأخير) فقد جرت تجزئته إلى ثلاثة أجزاء.
المقال الأخير قد حمل العنوان التالى:
فلسفة "الوجدان الدولى الجديد" .. ومستلزماته (1/3)].
ضمن هذا المقال إشارة توثيقية للمقالات الثلاثة الأسبق، وبعدها تمهيد، ثم معالجة للموضوعين التاليين:
- الظواهر العالمية الغالبة فى زمن بزوغ الوجدان الدولى الجديد.
– تاريخية عراقة وضخامة عُهر النظام الدولى.

ا، الأن، فى التناول الحالى، والذى يمثل الجزء الثانى من المقال الرابع، يجرى الطرح لموضوعين يختصا بكل من "الملائكية الفكرية والنبوة الجديدة"، و"مكانة بلدان الشمال والجنوب"، وذلك ى:

– الوجدان الدولى مابين "الملائكية" الفكرية و"النبوة" الجديدة:

شأ الوجدان الدولى الجديد بالمصادفة، ولابسهولة. لقد تصاعدت بشدة معانات سكان المعمورة من سؤات النظام الدولى على مدى عقود. كان الحس الثقافى العام عند شعوب بلدان الشمال مصدقا، أو - الأقل - غير معاديا، لتوجهات الأنظمة السياسية التى تحكم هذه البلدان، الوضع الذى تصدع على إيقاع أحداث غزة.

رون الملائكة:
ا، منذ النكبة (1948)، وخاصة فيمابعد 1967 ، لم يكن الحق الفلسطينى، وبرغم التعتيمات والإلتفافات الإعلامية / السياسية، بواسطة التضافريات الغربية مع الصهيونية، غائبا عن عديد من رين والخبراء، من الكتاب والأكاديميين المرموقين، خاصة فى الشمال. ذلك أنه، من منصات التخصص والمنطق الفلسفى / الإنسانى، واعتمادا على الوعى بالمعارف التاريخية والسياسية، كان قد فى العالم مفكرون وخبراء يجتهدون فى إلقاء الضوء على التوجهات والممارسات العنصرية للكيان الإسرائيلى ضد فلسطين وأهلها. من هؤلاء المفكرون العظماء يهود (بعضهم من إسرائيليي بية)، وأيضا منهم آخرين من غير اليهود.

برز الأسماء فى هذا الخصوص يمكن الإشارة إلى أستاذ المنطق الرياضى والفلسفة برتراند رسل Bertrand Russel / بريطانى (1872 - 1970) – الفيلسوف والكاتب روجيه جارودى Roger Garau / فرنسى (1913 - 2002) – أستاذ اللغويات ناعوم تشومسكى Naom Chomsky / أمريكى (1928 - ...) – أستاذ القانون الدولى ريتشارد فالك Richard Falk / كى (1930 - ...) – الفنانة السينيمائية فانيسا ريدجريف Vanessa Redgrav / إنجليزية (1937 - ...) - أستاذ العلوم السياسية جون ميرشينمايرJohn Mearsheimer / أمريكى (1947) - الباحث والكاتب فى العلوم السياسية نورمان فنكلشتين Norman Finkelstein/ أمريكى (1953 - ...) – الصحفى والإعلامى جيديون ليفى Gideon Levy / إسرائيلى (1953) - أستاذ صاد (وخبير الشأن العام الدولى) جيفرى ساكس Jeffry Sachs / أمريكى (1954 - ...) – أستاذ التاريخ إيلان بابيه Ilan Pappe / إسرائيلى (1954 - ...) - الصحفى والمعلق كريس ر Chris Hedger / أمريكى (1956 - ...). هذا، وتجدر هنا الإشارة أيضا إلى مفكرين مصريين كان لكل منهما مساهماته فى نفس الإتجاه، وهما جمال حمدان (1928 – 1993)، الوهاب المسيرى (1938 - 2008).

هؤلاء المفكرون والخبراء، وآخرين من أمثالهم، ترفع لهم القبعات. لقد قاموا (ولازال الأحياء منهم يقومون) بواجباتهم الفكرية، من منصة ما تمليه عليهم ضمائرهم، وفى تحد عظيم للظروف دية لهم ولأمانتهم. هذا، وبرغم الإجتهادات المعرفية / الفكرية والمواقف الرصينة المتعددة التى صدرت عنهم إلا أنها لم تكن، خاصة فى ضوء الهيمنات الصهيونية على الإعلام الغربى، بالكافية رفى الرأى العام الدولى بالقدر الذى يُنشىء مطلبا عالميا بردع أصحاب المصالح الإستعمارية وتآمراتياهم على الحق الفلسطسنى.

هؤلاء المفكرون والخبراء (ولازال الأحياء منهم) يحلقون فى سماء الحق برؤاهم ومواقفهم، ولايأبهون إلا بصدقية المعرفة، متحملين،وغير عابئين، لما يلقون من عنت، والذى وصل إلى حد عرقلة ارات الحياتية لبعضهم. باختصار هم كالملائكة فى اعتمادهم الأساسى على الحق والحقيقة، الأمر الذى تجلى فى الموقف المعرفى المستقيم، الصريح (والعملى أحيانا) فى التصدى، والكشف، للجرائم بيونية.

كان - ولازال - لرؤى ومواقف وممارسات هؤلاء المفكرون الملائكيين تأثيراتها فى المسارات المعرفية بخصوص استكشاف وتأصيل الحقيقة.

ام الفكرى الإنسانى / الملائكى الراق لهؤلاء المفكرين يُعد، فى كل الأوقات والظروف، بمثابة شعاع ضوء ينير الطريق للآخرين. من هذا المنظور، وبالإعتبار لجداراتهم، فكريا وإنسانيا، يستحق أن تصدر بشأن أدوارهم ومساهماتهم أعمال توثيقية (أفلام و/ أو كتب)، والتى يمكن ان يكون لها تأثيرا عميقا فى دعم ثقافة الشأن العام العالمى.

اء الجدد:
جانب آخر، فقط، كانت أحداث غزة بمثابة الجرس الأكبر، المُنبه لكافة الشعوب، بأن الجميع فى خطر، وأن اللاإنسانية (أو الشيطانية) المطلقة التى تمارس ضد غزة كاشفة لعهر النظام الدولى، ى، فى حال استمراره، ستصل تبعاته إلى الجميع، بل وسيحطم الكرة الأرضية من خلال أنانية المهيمنين على أحوالها.

غ هذه الإدراكات، عند عموم الناس، فى جميع أنحاء العالم، أدى إلى تحرر الوعى، وتحريك الضمير، الأمر الذى قاد إلى تصاعد حمية الضمير الإنسانى الشعبى العالمى، وبزوغ صحوته. لقد جرى (ولازال يجرى) بقدر يكاد لم يحدث على مدى التاريخ . تلقائيا، صاغت هذه الحركيات مسارا لنشأة الوجدان الدولى الجديد (الوجدان الدولى الجديد .. تضاريسه ومجالاته – الشروق 10 يوليو 20).

ى نشأة هذا الوجدان، واستمراره، وتجدده، وتعاظمه، أن عموم الناس صاروا يدركون "معا" أن لديهم "معا" واجبات عليهم القيام بها "معا".

ى ومواقف إنسانية عديدة ساهمت فى نشأة نقطة التحول "الإنطلاقى" العالمى إلى هذا الوجدان. هذه الرؤى والمواقف الإنسانية ترقى إلى مستوى ممارسات النبوة. إنها لم تنجم عن تكليفات مباشرة من

ت سماوية أو أرضية معينة، أو من معتقدات فلسفية بعينها، وإنما قد وُلِّدت من "ضمائر" نمت وترعرعت فى ظل التراث الإنسانى العام، والمحمل بالجوهر الإيمانى الإنسانى المشترك، والعابر لكافة ان والمعتقدات والخبرات.

، هذه النبوة الجديدة ببزوغ الرواد من الأنبياء الجدد، وبما صدر عنهم من رؤى، وما مارسوه من مواقف. كانت نشأتهم كأنبياء جُدَد نشأة فردية، تعتمد على فاعليات الأحاسيس والإدراكات والخبرات، طار مالدى كل منهم من معلومات، وحقائق. كانت ضمائرهم تدفعهم إلى تحمل المسئولية، مهما استفحلت العواقب.

ء الأنبياء الأفراد "الرواد" فضل دفع عجلة الوجدان الدولى، الأمر الذى قاد إلى توالد سلاسل من الأنبياء الجدد، والتى صارت بمثابة "جماعات نبوة" إنسانية، يأتى تجمعها فى عمل إنسانى محض، ون به معا، وبصرف النظر عن أية خلفيات، دينية أو عقائدية أو جنسية أو جندرية أو عمرية ..إلخ.
أن المصلحة الرئيسية الوحيدة التى تجمعهم تتمثل فى حماية الإنسانية من شيطانية أعدائها، وتحديدا شيطانية صناع ورعاة سرقة فلسطين، وتدمير غزة، وإبادتها، شعبا وكيانات.

ال الإنسانية لجماعات النبوة الجديدة غاية فى التنوع. من أكثرها شيوعا التظاهرات، والوقفات الإحتجاجية، وقوافل الإغاثة، والقوافل البحرية والتى تتكرر محاولاتها تصميما على المساهمة فى ع عن غزة وحمايتها.

النبوات الجماعية المتواصلة، والمتزايدة، وبرغم كل الموانع التى تمارسها إسرائيل وحلفائها من أنظمة الغرب، تسطر حروفا عملية جديدة لأكثر لغات الأرض (أو العالم) إرتقاءا وشرفا، وهى " لغة انية "، الأمر الذى يُنشيء ثقافة عالمية جديدة.

لى إشارة إلى بعض الشخصيات الأيقونية كنماذج للأنبياء (الأفراد) الرواد، والذين ساهموا بمواقفهم فى إشعال جذوة التضامن الإنسانى العظيم:

تجدر الإشارة إلى فرانتسيسكا ألبانيز Frannccesca Albanese الشخصية القانونية الأكاديمية، التى بدأت علاقتها بالقضية الفلسطينية مع تعيينها كمقرر الأمم المتحدة لشؤن الأراضى طينية المحتلة، مايو 2022 .

ول تقرير لها، بعد اضطلاعها بمهامها، أوصت المقررة الجديدة الحكومات الأعضاء فى الأمم المتحدة بوضع نهاية للإحتلال الإسرائيلى وما يمارسه من اضطهاد وعنصرية.

، بعد طوفان الأقصى، ومع افتضاح شراسة الحرب الإسرائيلية على غزة، ضمّنت ألبانيز تقريرها، المرفوع إلى مجلس الأمم المتحدة لحقوق الإنسان (26 مارس 2024)، الإشارة إلى أن ماتفعله ئيل فى غزة هو "إبادة عرقية"، طبقا للقانون الدولى. كان تقريرها يحمل عنوانا بالغ الدلالة والأهمية، Anatomy of the genocide "تشريح الإبادة العرقية".

مواقفها فى كشف الجرائم الإسرائيلية إلى تتالى الإنتقادات والإتهامات ضدها، من كل من إسرائيل والإدارة الأمريكية. لم يثنها ذلك عن موقفها، حتى أنها بادرت بإعلان ضلوع أكثر من 48 شركة ، فى منافع "بزنسة" من الحرب على غزة، الأمر الذى دفع بإدارة الرئيس ترامب إلى المطالبة بتوقيع العقوبات عليها.

، تصريح الرئيس الفرنسى ماكرون، فى فبراير 2024، بأن 7 أكتوبر يمثل أكبر مذبحة معادية للسامية فى القرن الحالى، عقبت ألبانيز قائلة: لقد قُتل ضحايا 7 أكتوبر ليس بسبب أنهم يهود، ولكن فعل على الإضطهاد الإسرائيلى المزمن للفلسطينيين.

ون من أساتذة الدراسات اليهودية فى العالم أشاروا إلى أن ماتتلقاه ألبانيز من انتقادات وتهديدات إسرائيلية / أمريكية إنما يمثل محاولات لدفعها للصمت. فى نفس الوقت، لم تصمت ألبانيز حيث ت تواصل الثبات على مواقفها فى كشف وإدانة الإبادات الإسرائيلية لغزة، شعبا ومكانا. إنها لازالت لا تتوانى عن أداء دورها فى هذا الخصوص فى كافة المحافل المعنية.

ا تجدر الإشارة إلى بعض الشخصيات الأمريكية، من القيادات الحكومية، التى لم تتقاعس عن الكشف والمواجهة وعدم الرضا بشأن الدور الأمريكى فى ممارسات إبادة غزة وأهلها، مما أدى بكل إلى الإقالة أو الإستقالة.

ؤلاء جوش بول Josh Paul ، والذى اتهم الرئيس الأمريكى باتباعه سياسة منحازة، قصيرة النظر، غير عادلة، ولاتخدم المصالح الأمريكية.

بينهم ألكسندر سميث Alexander Smith ، والذى أعلن عدم استطاعته ممارسة مهامه فى بيئة يكون فيها بعض الناس غير معترف بهم كبشر كاملين. لقد توصل سميث إلى ذلك الموقف على كتشافه أن هيئة المعونة الأمريكية اتخذت موقفا معاديا لتقريره المرفوع إليها عن وفيات الأطفال والأمهات فى غزة، مما أدى به إلى الإستقالة.

عن هاريسون مان Harrison Mann، ضابط المخابرات العسكرية الأمريكية، اليهودى الديانة، فقد اتخذ موقفا بعدم قبول ماتقوم به المؤسسة التى يعمل بها فى دعم إسرائيل. معبرا عن شعوره ر لأنه كان قد ساعد من خلال عمله فى تطوير السياسات الأمريكية التى ساهمت فى قتل عمومى للفلسطينيين Mass killing of Palastinians ، الأمر الذى حدث ويحدث فى غزة، حسب .

صوص كبيرة المستشارين فى مكتب الهجرة بوزارة الخارجية الأمريكية ستاسى جيلبرت Stacy Gilbert ، فقد أشارت فى تقرير رسمى، كان قد طُلب منها بواسطة البيت الأبيض، إلى أن خدام الأسلحة الأمريكية فى غزة يتناقض مع القانون الدولى الإنسانى". لاحقا، فوجئت ستاسى بحذف هذه العبارة من التقرير، الأمر الذى دفعها إلى الإستقالة.

جانب آخر، كانت ليلي جرينبرج كال Lily Greenberg Call أول المستقيلين من اليهود العاملين فى الحكومة، وذلك إعلانا لرفضها الدعم الأمريكى لإسرائيل. لقد وجهت اتهاما للرئيس بايدن اذه اليهود وجها لماكينة الحرب الأمريكية.

، استقالتها، أنيللى شيلاين Annelle Sheline ، من العمل فى وزارة الخارجية، فقد أرجعتها إلى أن الرئيس "خرق" القانون الأمريكى بتبنيه لتسليح اسرائيل، وأنها لاتستطيع خدمة حكومة تدعم طنة.

اله راريت Halle Rharrit ، المتخصصة فى شؤن الشرق الأوسط، فقد رفضت العمل فى وزارة الخارجية الأمريكية مشيرة إلى أن " قنابل أكثر تعنى قتل أكثر، ولاتقدم إجابة بشأن ماينبغى أن ل"، مما يجعلها تدين ذلك.

وقد كانت أنّا كاستيللو Anna Dil Castillo ، المديرة بالنيابة لمكتب الإدارة والتمويل فى البيت الأبيض، أول العاملين فيه تركا للخدمة بسبب السياسة الأمريكية فى غزة (ابريل 2024).

ا، من المستقيلين من وزارة الخارجية كان مايك كاسي Mike Casey ، والذى أرجع سبب استقالته إلى أن الحكومة الأمريكية تدعم مصالح إسرائيل أكثر من تدعيم أمريكا لمصالحها.

، ريلي ليفرمور Riley livermore ، المهندس بالقوات الجوية الأمريكية، فقد برر استقالته بأنه لايريد العمل فى شيء يستخدم فى ذبح ناس أبرياء.

وكان من أبرز من استقالوا من وزارة الخارجية أندرو ميللر Andrew Killer ، مساعد الوزير للشؤن الإسرائيلية الفلسطينية، والذى صرح برفضه لعلاقة الرئيس بايدن بإسرائيل. لقد شبه ميللر العلاقة بعناق الدب Bear hug ، حيث بينما تظهر هذه العلاقة فى شكل ارتباط عاطفى عنيف فإنها قد "تكبس" على الآخر ضغطا بحيث تقضى عليه.

م فكرية/إنسانية جديدة:
من منظور مكانة النبوة الجديدة، فى الوجدان الدولى الجديد، بأشكالها الفردية والجماعية، وبالأخذ فى الإعتبار لتباين الإنتماءات العقائدية (دينية وغير دينية) للمساهمين فيها، وكذلك تنوع

صاتهم فى المهام والإنشغالات الحياتية (طلبة – عمال – موظفين – أكاديميين – إعلاميين – فنانين ..إلخ) فإنه يمكن الإنتباه إلى بعض المعالم الفكرية الإنسانية التى يفصح عنها هذا الوجدان، والتى
:

، تَوَحُد "الناس"، برغم تباين خلفياتهم الحياتية / الثقافية، فى وجدان أساسى مشترك يتعلق بحماية الحق الإنسانى، إنما يعد سلوكا أقرب إلى "الفطرة" التى خُلقوا عليها. ذلك بمعنى أن هذا النضج، فى ية والموقف، يُظهر توحد الناس، وبحيث يمكن القول أنه توحد بين النضج والفطرة، أو أنه " نضج فطرى"، لم تتمكن المصالح الخاصة من تشويهه.

أن هذه الوضعية، عند أهل الوجدان الدولى الجديد، معنى عدم قبول الناس أن يكونوا عبيدا لأية تضافرات و/أو توجهات ضد الإنسانية (من النيوليبرالية و/أو الصهيونية، و/أو غيرهما). هكذا موقف، كذا اتجاه، يعنى بداية نوعية جديدة لمسار تصحيح الشأن العام العالمى.

ع فكر الوجدان الدولى الجديد يمكن أن تتلاشى (أو تخمد) تعصبات الأيديولوجيات السياسية التقليدية. ذلك يجذب الإنتباه إلى أهمية مايمكن أن يمثله (أو يبنيه) الوجدان الدولى الجديد من قيم ومعايير ية، خاصة بشأن قبول الآخر والتفاعل معه.

ضافة إلى ماسبقت الإشارة إليه أعلاه، يمكن القول بأن تواصل الوجدان الدولى الجديد وتجدد فاعلياته يفتح الأذهان للحاجة إلى متطلبات فكرية وإجرائية (أو تنظيمية) أكثر أصالة بخصوص قضايا ن البشرى".

ا – مكانة بلدان الشمال والجنوب من الوجدان الدولى الجديد:

لواضح أن حركيات الوجدان الدولى الجديد توحد بين شعوب بلدان الشمال والجنوب من حيث وجودية مظاهر وتبعات جديدة فى كل منهما، حتى وكأن هذا الوجدان أشبه بالترمومتر الذى يقيس، ر إلى المظاهر والتبعات.

جانب آخر، نسبة ملحوظة من سكان بلدان الشمال تَوَلّدَ لديهم اهتماما عميقا بأحداث غزة، بحيث تحولت إدراكاتهم ورؤاهم إلى اتجاه الإيمان بالحق الفلسطينى والعمل على وقف أعمال الإبادة فى
.

ذا، فى ضوء المعالم الديمقراطية التقليدية للحياة السياسية فى بلدان الشمال بزغت وانتشرت حركيات، شعبية فى طبيعتها (من عموم المواطنين – طلبة وأكاديميين وفنانين ..إلخ) تعادى وتشجب لفات بين الإدارة الأمريكية وحلفائها من أنظمة الغرب من ناحية، مع الكيان الإسرائيلى من ناحية أخرى.

تفاجأ أهل الشارع السياسى الغربى (الديمقراطى الشكل) بممارسات عنف غير متوقع، من أنظمة الحكومات القائمة، ضد مواقف وحركيات الأفراد والجماعات والكيانات المنادية بالحق الفلسطينى، ندة بالإبادة العرقية فى غزة. إلى حد كبير، صارت هذه المواقف كاشفة لعنصرية سلوكيات الحكومات الغربية، ولقدر من الزيف بشأن الإيمان بالديمقراطية كمنهج.

ازى، فى بلدان الجنوب، تكررت نفس الظاهرة من جانب الحكومات، حيث جهودا مباشرة ومكثفة لإسكات ولجم تعبيرات الناس و احتجاجاتهم فيما يتعلق بالحق الفلسطينى وبشجب ممارسات الإبادة ، بشرا ومؤسساتا وإمكانات حياة.

ذا، يمكن الإستنتاج بأن حكومات بلدان الشمال والجنوب، على السواء، قد تميزت بحساسيتها لممارسة جماهير شعوبها لرؤاها ولمواقفها فى الإصطفاف المدعم للحق الفلسطينى والرافض لإبادة غزة.

الوضعية وحّدت (وقرّبت من) عزم التحولات الوجدانية عند شعوب الشمال والجنوب فى آن. ذلك بمعنى تشاركهما معا فى المعاناة من سلوكيات الأنظمة الحاكمة واتباعياتها للإنحرافات النيوليبرالية سهيونية.

هنا يمكن القول بأن الإتباعية فى أنظمة الشمال تأتى - إلى حد كبير- نتاجا لتشاركات فى التعصبات المؤدية إلى التطرف والإرهاب ضد الآخرين، وهو تعصب ناجم عن مصالح استعمارية تقوم الهيمنة.

، فى الجانب الآخر، عن الإتباعية فى أنظمة الجنوب فتنتج -عادة- من أنانيات سلطات هذه الأنظمة، والتى تتمثل فى الرغبة فى استمرارية تبوؤها للسلطة لأطول فترة زمنية ممكنة، استهدافا مرارية المصالح الخاصة والتغطية على فسادها.

ذا، كشفت تطورات الشارع السياسى فى العالم بأسره عن ديكتاتوريات واتباعيات الأنظمة الحاكمة، الأمر الذى يعيد تأكيد دور هذه الديكتاتوريات فى "خنق" الممارسات الديمقراطية. إنها الوضعية أدت، وبتلقائية كبيرة، إلى تشاركات شعبية شمالية / جنوبية فى بزوغ الوجدان الدولى الجديد.

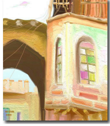
يكمن فى مستقبليات هذه التشاركيات مايدعم التعاون بين شعوب الشمال والجنوب لتحقيق المصالح الإنسانية الكلية Global ، خاصة فى المجالات المساعدة على إنجاز التنمية الإنسانية، مثل حة والتعليم ونقل التكنولوجيا ودعم البحث العلمى.

ومما يؤكد على تشارك الشمال والجنوب فى الحاجة إلى إنجاز مهام التنمية الإنسانية (عالميا وليس عولميا) مايجرى الآن فى اتجاه تسليط الهيمنات الأمنية على الجامعات شمالا وجنوبا، الأمر الذى عن تخوفات وتحسبات الأنظمة من الدور الموضوعى للتعليم والعلم فى تعميق الوعى والممارسة بشأن التنمية (والتواصلات) الإنسانية. ذلك أن الدور الموضوعى للتعليم والعلم يتناقض، وبشكل ن، مع إتباعيات وأنانيات السلطات الحاكمة، وما يكون لدى بعضها من مصالح غير شرعية.
ذا، يبقى تناول مسألة "ضرورات فكرية لم تطرأ على العالم من قبل"، فى الجزء الثالث (3/3)، ان شاء الله.

فى فلسفة -الوجدان الدولى الجديد- .. ومستلزماته (3/1)

محمد رؤوف حامد

2025 / 9 / 18
العولمة وتطورات العالم المعاصر



اخل، أو من باطن، أو من "جُوّا" الناس، مئات الملايين، أفرادا وجماعات، فى كل مكان على سطح الكرة الأرضية، بزغ (أو وَلُجَ) إلى العالم هذا "الوجدان الدولى الجديد" بتضاريس وحركيات
جة عن التوقعات (الوجدان الدولى الجديد .. تضاريسه ومجالاته – الشروق 10 يوليو 2025).

لم يكن ذلك واردا عند أصحاب الهيمنة، الراعين والموجهين لعمليات التطرف فى العالم، والذين جرت الإشارة إليهم من قبل [فى مقال بعنوان" مستقبل جديد للثورات"، والذى صدر فى 2 فبراير
20 (الحوار المتمدن – العدد 3991), وبعدها صدر ضمن محتويات كراس فى المستقبليات، حمل نفس عنوان المقال – المكتبة الأكاديمية – 2019 – ص 13]، هؤلاء المُنشئين للعهر الدولى،
ى انكشفت تجلياته وآثامه مع أحداث غزة (جريدة الشروق// "المقاومة الفلسطينية والنظام الدولى .. أيهما قدرُ الآخر- ديسمبر 2023" – "غزة نقطة إنعطاف النظام الدولى - 30 يناير 2024" -
ا بعد استيقاظ العالم على إيقاع أحداث غزة- 13 سبتمبر "2024 – "من غزة إلى إعادة حوكمة العالم – 8 أكتوبر "2024).

داد المتواصل للوجدان الدولى الجديد يقود العالم إلى لحظة تاريخية مفصلية، حيث صار النداء العالمى الأعظم يطالب بتجريم الكيان الإسرائيلى، وتحرير فلسطين، وإيقاف الإبادة العرقية لغزة، بشرا
نا.
سارت الجِدّة Novelty الخاصة بهذا التحول الوجدانى الهادر بمثابة منصة إبداعية جماهيرية عالمية.

ذلك مدعاة لضرورة تفحص عموم خصائص التحولات الوجدانية وما يتوجب التحسب له بشأنها (التحولات الوجدانية المجتمعية – خصائص
اذير – الحوار المتمدن – العدد 8448 – 28 أغسطس 2025).

ذا، التحول الوجدانى الجديد يمثل عند القوى البشرية المساهمة فى ولادته واستمراريته، أملا (ومدخلا) لتصحيح وتأمين حال الإنسانية مما تتعرض له من غوغائيات النظام الدولى القائم.

ق العملى لهذا الهدف يتطلب الإجتهاد فى التعرف على الأبعاد الفلسفية لهذا الوجدان العالمى.

ى آخر، فى استيعاب فلسفة الوجدان الدولى الجديد مكانة جوهرية بشأن طريقة إنجاز مهامه ووظائفه (الوجدان الدولى)، باعتباره معبراً (أو جسراً) لإعادة انضباط النظام (أو الوضع) الدولى.

هذا المنظور يمكن اكتشاف عمليات ومعالم معرفية و/أو فكرية، لم تكن لتتبدى كمعان وممارسات وضرورات بعيدا عن الظروف التى أوجدت الوجدان الدولى الجديد. فى نفس الوقت، من الطبيعى أن
ن لهذه العمليات والمعالم المعرفية / الفكرية أدوارها ومساهماتها فى صناعة المستقبليات الأحسن لجموع البشر.

ذا، يجتهد الطرح الحالى فى الإطلال على هذه العمليات والمعالم المعرفية / الفكرية، من خلال تناول مايلى:
لواهر العالمية الغالبة فى زمن بزوغ الوجدان الدولى الجديد.
ريخيات عراقة وضخامة العهر الدولى الجارى.
نبياء الجدد.
انة بلدان الشمال والجنوب من الوجدن الدولى الجديد.
رورات فكرية لم تطرأ على العالم من قبل.

ا، ونظرا للطول النسبى لهذا الطرح فهو يُعرض فى ثلاثة أجزاء (3/3) يمثل المقال الحالى الجزء الأول منها]].

- الظواهر العالمية الغالبة فى زمن بزوغ الوجدان الدولى الجديد:

هرة الأولى – عملقة الديكتاتورية الدولية واشتداد خنق الديمقراطية:
، هذه الظاهرة مع سقوط سور برلين (9 نوفمبر 1989) ونَحْت ماعرف بالعولمة (الحديثة)، والتى تمثلت أكثر تداعياتها شراسة فى فقدان التوازن الدولى، وبروز تسلطات النيوليبرالية، وتعاظم
ة توجهاتها.

اد ذلك إلى اشتداد حمية التضافر بين القطب الأوحد (وأتباعه) من جانب، مع الصهيونية العالمية من جانب آخر، الأمر الذى تجسد ليس فقط فى تعظيم الدعم للكيان الإسرائيلى، وإنما فى التصعيد
م سلوكيات التطرف والصراع فى العالم.

هذا السياق لاتمثل مشكلات وإشكاليات "الفوضى الخلاقة"، و "سد النهضة"، والحرب الروسية / الأوكرانية، فضلا عن إتلافات البيئة والمناخ، إلا بعض النماذج.

هكذا أوضاع صارت الديكتاتورية الدولية آلية مهيمنة على العديد من الحكومات، شمالا وجنوبا و- إلى حد كبير- على الأمم المتحدة والكيانات التابعة لها.

هذا الإطار نشطت عمليات تحجيم الممارسات الديمقراطية كضرورة لسلامة واستمرارية أنظمة الحكم المتوافقة (فى وجودها ومصالحها) مع صناع الديكتاتورية الدولية.

هرة الثانية – صراع طبقى عالمى من نوع جديد:
بط، كما أن مسألة "عملقة الديكتاتورية وخنق الديمقراطية" تمثل منهجا لإدارة ودعم التضافريات بين النيوليبرالية (أو الرأسمالية الشرسة) والصهيونية العالمية وقوى التطرف فى العالم، فإنها أيضا،
ا على ذلك، وبنفس القوة تقريبا، تمثل منصة لإعادة تشكيل الشرائح الطبقية للبشر فى كل مكان فى العالم، الأمر الذى ينعكس تلقائيا على وجدانات الناس، حسب ماينتمون إليه من احتياجات و/أو
الح، وما يترسخ داخلهم من معانات وتخوفات ورغبات.

ذا، تحول العالم من بنية الشرائح الطبقية الكلاسيكية (الرأسمالية والعمال .. إلخ) إلى شرائح جديدة يمكن الإشارة المبدأية لها كالتالى:
أسمالية الشرسة، والتى صارت تتحكم – إلى حد كبير- فى مستقبليات العالم، خاصة من خلال الهيمنة على أنشطة التسلح والتطوير التكنولوجى.
يحة العلماء والتكنولوجيين، والذين يكادوا يكونوا بروليتاريا الزمن الجارى.
يحة خُدام الرأسمالية الشرسة، وتضم من يعملون لصالحها من مفكرين وخبراء فى شؤن المال والأمن والسياسات ...إلخ.

ـاء المدخل غير المباشر لهذ التحول فى الشرائح الطبقية من خلال تأثيرات العولمة على الإدارة (على غرار الخصخصة وتخلخل إنتماءات الأفراد للمؤسسات التى يعملون بها)، الأمر الذى أدى إلى ساهم فى) تغيير فى علاقات الإنتماء للمؤسسات، وللأوطان. ومع هذا التغيير إزدادت الشواشات Chaos فى علاقة المواطنين بكيانات العمل, وتفاقمت تسيُدات المستويات الإدارية الأعلى على ى، الأمر الذى جاء كإمتداد لتعاظم شراسة توجهات أصحاب رؤس الأموال، والإتباعيين لهم (الإدارة التحجيمية .. "جن" يكتم التقدم – الشروق 26 أغسطس – 2021).

متغيرات كانت بمثابة مداخل ومنطلقات Triggers لتحولات أساسية فى الوجدانات، الأمر الذى تشهد عليه بزوغات لظواهر مرضية، نفسية / إجتماعية لكثيرين ممن عانوا من المتغيرات التى ى على مجالات العمل، والتى أنتجت، على وجه الخصوص، ظاهرة التردى فى الإنتماء للكيانات والمؤسسات.

هرة الثالثة – تغير فى حساسية الحكومات تجاه وجدانات شعوبها:
قبل تنامى الممارسات النيوليبرالية، والتى تصاعدت على حس (أو على وتر) العولمة، كانت الحكومات، شمالا وجنوبا، على قدر من الحساسية لوجدانات الشعوب. حاليا، فى ظل مسارات "خنق قراطية"، وبالتزامن مع تصاعد إيقاعات الوجدان الدولى من منصة أحداث غزة، تجاسرت عديد من الحكومات، شمالا وجنوبا، فى منع الناس من التعبير عن رؤاها ومواقفها، الأمر الذى يتجسد ، ضوح كبير، فى ممارسات المنع والتنكيل للتضامنات مع الحق الفلسطينى.

هرة الرابعة: نشأة حوكَمَات تسلطية لقمع الحريات الأكاديمية وتحجيم أنشطة البحث العلمى:

زغت هذه الظاهرة بشكل حاد فى ممارسات الإدارة الأمريكية ضد بعض الجامعات. ذلك فضلا عن ممارسات مشابهة بدأت تغزو الكيانات الأكاديمية فى بلدان الجنوب.

ربما يستحق الأمر قراءة هكذا متغيرات فى سياق رغبة الحكومات (وتوجهاتها) بشأن ضمان تحكماتها فى مسارات (وأوضاع) الشأن العام، الأمر الذى تتجه معه هذه الحكومات إلى إضعاف نات الأكاديمية من خلال التحكم فى قدراتها، والتى تعتمد – أساسا – على الحرية الأكاديمية.

، كإستنتاج، يمكن القول بأن الظواهر العالمية الغالبة، فى زمن بزوغ الوجدان الدولى الجديد، تشير جميعها إلى تعاظم "فكر القوة".

، فى وجودية هذه الظواهر دلالة قاطعة على قيام النيوليبرالية، والصهيونية، وأتباعهما (شمالا وجنوبا)، بممارسة الإرهاب، وليس بمجرد الدعم الفكرى والفيزيائى للتطرف.

التعاظم فى ممارسة فكر القوة (بالتطرف والإرهاب) يتجسد، وبشكل مطلق، فى أحداث غزة.

، يكاد هذا التعاظم أن يكون قد وصل إلى (أو اقترب من) منتهى قمته، الأمر الذى يكاد - جليا- أن يوصل الشأن العام العالمى إلى نقطة انعطاف تاريخية. ذلك أنه فى ظل قمة الممارسات السائدة لفكر القوة تبدأ تدريجيا متجهات سعى الشعوب، ممثلة فى وعى أبنائها ومثقفيها، إلى اكتشاف المسار(ات) الخاصة بممارسة "قوة الفكر"، الوضع الذى يتبدى فى انطلاقة الوجدان الدولى الجديد.

– تاريخية عراقة وضخامة عُهر النظام الدولى:

ىء جدا بالتصورات المعرفية التقليدية التى تقول بأن أحداث غزة (2023- ...) تُعد امتدادا لهزيمة 5 يونيو 1967، أو للنكبة (1948)، أو حتى لوعد بلفور (1917). الحقيقة والتى اكتُشفت را عبر تنقيبات بحثية علمية جادة فى التاريخ والسياسة، والتى تستحق عرضا تفصيليا قائما بذاته، أن هذه الأحداث هى مجرد امتداد عصرى، جزئى (أو فرعى)، لطمع استعمارى كلاسيكى يختص منة على الآخرين فى العالم ومنعهم من التقدم. لقد بدأ هذا الطمع على أيدى الإمبراطورية البريطانية فى ثلاثينات القرن التاسع عشر، أى على أيدى القطب العالمى الأوحد حينئذ، والذى كانت الشمس ب عن مستعمراته.

ن منطلقات الطمع تتعلق بالذات بفلسطين، والتى كانت مجرد المدخل، وإنما كانت تتعلق (أولا) بإخضاع مصر (فى زمن محمد على) ومنع انطلاقاتها لبناء امبراطوريتها فى المنطقة العربية و/أو ق أوسطية ..إلخ، ثم هى تتعلق (ثانيا) بالتخطيط للإستيلاء على فلسطين وتسليمها ليهود أوروبا، بغرض بناء كيان تابع للإمبراطورية البريطانية، وذلك بهدف التخديم على المصالح التجارية راطورية، ولعرقلة أية محاولات إستنهاضية لأهل هذه المنطقة.

ا ممايؤكد هكذا استهدافات استعمارية أنه فى الزمن المشار إليه لم تكن فى العالم أية بلدان تملك طموحات نهضوية/توسعية مثلما كان لمحمد على (أو لمصر) وقتها.

ذا، يمكن القول بأن القصد الإستعمارى لم يكن بالذات فلسطين، بل كان مصر. ومع قليل من التنبه يمكن القول بأن أصل القصد لم يكن بالذات مصر، وإنما كان المنطقة. ثم مع مزيد من الإنتباه يتبين بذور القصد ومنتهى أهدافه يتمثل فى عدم السماح لآخرين (غير الإمبراطورية البريطانية) بالهيمنة على العالم. وهنا، يرجع التخوف الرئيسى من المنطقة العربية، أساسا بسبب ماتتفرد به - بين ق العالم - بكونها منبع الحضارات ومهبط الديانات (نحو فهم أعمق لخلفيات العداء الأجنبى للمنطقة العربية – الحوار المتمدن – العدد 5698 – 14 نوفمبر 2017).

زغت معالم هذا الطمع الإستراتيجى البريطانى عام 1840 ، زمن ولاية بالميرستون Palmerston لوزارة خارجية الإمبراطورية البريطانية. بعدها، تطور المسار التنفيذى للطمع، مع مرور ن، ليصل إلى ماهو معروف أن قد جرى بعد ذلك من محطات وأحداث، مرورا بوعد بلفور (1917)،.. ووصولا إلى طوفان الأقصى (2023) وأحداث غزة.

ومع الوقت جرى تحول كافة المهام (أو الأطماع) الإستعمارية والولاية عليها إلى الولايات المتحدة الأمريكية (ومعها حوارييها فى الغرب وعلى رأسهم بريطانيا).

حولت الهيمنة على المنطقة إلى هذا القطب الجديد، مع استمرارية التضافر الكلى مع الصهيونية العالمية ممثلة - تنفيذيا- فى الكيان الإسرائيلى و"لامشروعية" حركياته.

جانب آخر، لم تكن الممارسات الإستعمارية (البريطانية وغيرها / أمريكية وغير أمريكية) بعيدة عن الهيمنة على مناطق أخرى من العالم، ولاهى سعيدة بما تصل إليه بعض البلدان من وضعيات تقدم سية، كما يحدث الآن بشأن بلدان مثل الصين وروسيا والهند وإيران وجنوب أفريقيا والبرازيل ...إلخ.

ه، لم تكن عدائيات الإستعمار أيا كان شكله، كلاسيكى أو حديث، لتسمح لطوفان الأقصى بوجوديته، وذلك صونا لمسارات عراقة وضخامة التوجه الإستعمارى الغربى المتسلسل. وبينما يفسر ذلك فرية حكومات الغرب مع الصهيونية فى الإصرار على إبادة غزة، كرد فعل على طوفان الأقصى، فضلا عن محاولات مزمنة مستميتة لإبادة كامل الحق الفلسطينى، فإن هذه الممارسة الصفرية نى الإستكمال الكلى لإبادة الآخر) قد أدت إلى إيقاظ وجدانات الناس فى مختلف أقاليم العالم، وعلى رأسها بلدان الشمال، والتى انتبهت شعوبها إلى التوجهات اللاإنسانية الحادة (واللانهائية) ماتها، وإلى خطورة سوء استخدام ماتملكه هذه الحكومات من إمكانات تتعلق بتوجيه واستخدامات التسليح، والإعلام، والأدوات التكنولوجية / العلمية والأموال ...إلخ.

هنا قادت نقطة الإنعطاف إلى نشأة الوجدان الدولى الجديد وتعاظمة.

التحولات الوجدانية المجتمعية - خصائص ومحاذير

محمد رؤوف حامد



الحوار المتمدن-العدد: 8448 - 2025 / 8 / 28 - 17:15
المحور: العولمة وتطورات العالم المعاصر

فى تناولين سابقين جرت الإشارة إلى وجودية "وجدان دولى جديد" كرد فعل على ما بدا من إخفاقات وانحرافات فى النظام الدولى الراهن.

عن التناول الأول، فقد تضمن طرحا للعوامل المنشئة والمجسدة لهذا الوجدان، وكذلك العدائيات المضادة له، فضلا عن الإطلال على مآلاته (الوجدان الدولى الجديد - تضاريسه ومآلاته (الشروق 10 يوليو 2025)).

وأما التناول الثانى فقد أشار إلى ظروف بزوغ ومسار التحول الوجدانى الدولى، فضلا عن مقارنة تعريفية بينه، من ناحية، والتحولات المزاجية والعولمية، من ناحية أخرى (حركيات الوجدان الدولى الجديد (الشروق 14 أغسطس 2025)).

وهكذا، يبقى الإحتياج إلى التبصر بفلسفة وتوجهات هذا الوجدان الدولى الجديد، الأمر الذى تتطلب معالجته - بداية - التعرف على "عموم خصائص ومحاذير التحولات الوجدانية"، وهو الأمر الذى يجتهد الطرح الحالى فى تناوله.

أولا - التحولات الوجدانية مابين الحاجة والرغبة:
يُقصد بالحاجة الشيء الذى لاتستقيم الحياة بدونه، كالحاجة للماء والهواء، وأما الرغبة فتختص بإنجاز شيء ما، وفقا لمصالح صاحب الرغبة.
من هنا، يأتى التحول الوجدانى كحاجة، لمواجهة الخروج عن التذبذبات التقليدية لأحوال (أو لنطاق) مايعتبر استقرارا.
وفيما يتعلق بالتحول الوجدانى كحاجة يمكن الإشارة إلى مايلى:
- يتطلب التحول الوجدانى فهم وتفاعل إيجابى من جانب السلطة، كما جرى مع انتفاضة الطلبة فى مصر (فبراير 1968)، وكما حدث باستقالة الرئيس ديجول عندما أحس بتحول وجدانى شعبى معاكسا لرؤاه.
- بزوغ التحول الوجدانى كرد فعل إستيعابى لما ينبغى من تغييرات فى الشارع السياسى. يتجسد ذلك فى فوز ظهران ميدمانى بتمثيل الحزب الديمقراطى فى انتخابات عمودية نيويورك.
- التغيير فى نوعية القيادة، نتيجة الحاجة لإستقرار المنظومة.

- تصاعد الحاجة للمقاومة، تماما كما ظهر فى موقف الرأى العام العالمى ضد إسرائيل والتحالف الغربى معها.

أما عن التحول الوجدانى كرغبة، فله ظروفه، مثل:
- سعى السلطة إلى تحسين شكل إدارتها للأمور.
- إستخدام السلطة للحوار كموقف التفافى نتيجة تعرضها لضعف ما، أو تخطيطها لأمر تتجنب الإفصاح عنه، أو رغبة فى الإشغال عن أهداف مستترة.
- إستحداث تحول وجدانى زائف، ترتيبا لخلق أمر واقع.

ثانيا - العلاقة بالمنهجيات:
هنا، يطرأ تساؤلا محوريا:
"إذا كان من المآلات الممكنة للتحول الوجدانى زيادة ضغط الرأى العام فى اتجاه التصحيح، فهل يمكن له أن يقوم بمهمة التصحيح؟".
فى هذا الخصوص، يمكن القول بأن المهمة الرئيسية للتحول الوجدانى تتعلق بتغيير (وتثوير) الوعى والإدراكات، وليس بالممارسة التنفيذية للتغيير.
من أمثلة ذلك أن كانت 25 يناير 2011 بمثابة ثورة وجدانية كبرى، لكنها لم تكن لتصل - بذاتها- إلى إنجاز تغييرات منظومية، لابخصوص السلطة، ولا فى الشارع السياسى.
فى المقابل، فى حالة عدم قدرة الضغط الناجم عن التحول الوجدانى الدفع إلى إحداث تغييرات منظومية، فإنه إما أن يكون مغتعلا، أومنقوص المعايير، أو أن يكون للسلطة التنفيذية، أو للشارع السياسى، أو لكليهما، خصائص ومصالح تؤدى إلى (أو تتضافرا فى) تحريف التحول الوجدانى. عندها، قد تصل الأمور إلى تخريبات منظومية فى الشأن العام.

هنا، شهد التاريخ نماذج عديدة لتحولات وجدانية داخل عقول شخصيات عسكرية تدفعهم إلى الإنقلابات، والتى تؤل - بالطبع - إلى إفسادات. من أمثلة ذلك ممارسة الإنقلاب العسكرى لفاعليات مانعة أو كاتمة للتحولات الوجدانية. فى هذا الشأن يأتى ذكر الإنقلاب العسكرى الأرجنتينى، والذى اتخذ قرارا شعبويا، باستعادة جزيرة فوكلاند من التبعية لبريطانيا، مما أدى إلى حرب إنتهت بالهزيمة (1982) وبسقوط حكومة الإنقلاب العسكرى.

أيضا، توجد تحولات وجدانية غير ناضجة (و/أو كاذبة)، والتى تظهر كنتاج لمشاعر وأحاسيس مغلوطة.
من أمثلة ذلك يأتى إندفاع البعض من المنتمين إلى المنظومة (مؤسسة أو دولة ..إلخ) فى اتجاه استنكار النقد الموجه لها، دون التفكر والتحقق، الأمر الذى يحول منظومتهم إلى "شبه قبيلة"، مما يُدعم عناصر الفساد داخلها.

ثالثا - العلاقة بالمستقبليات:
كلما اتسعت الكتلة البشرية المنتمية إلى التحول الوجدانى كلما زادت فرصتة، كقوة دفع لماينبغى أن يكون، الأمر الذى يتعلق بالمستقبليات.

]هنا، يجدر الإطلال على ظاهرة إحصائية الطابع: عند التحليل الكمى للظواهر السلوكية، نجد أن التغيير الدال على الظاهرة يبدأ بنسبة منخفضة جدا من أعضاء المجتمع، وفى المقابل، توجد نسبة منخفضة جدا، من غير المبالين بالمرة. مع الوقت، فى حالة صدقية الظاهرة، تزداد نسبة المنتمين لها، بينما تتقلص نسبة غير المبالين بها. وهكذا، تدريجيا، تملأ الظاهرة سماء الشأن العام، تماما كما حال التحول الوجدانى الدولى الجديد[.

ولأن التحولات الوجدانية تكون منصة للتغييرات فى الرؤى والمواقف، فإنها يمكن أن تؤدى إلى نشأة مسار فعلى للتغيير، أو إلى تجنب مسار تغييرى سلبى.
أيضا، يمكن للتحولات الوجدانية أن تكون مدخلا للإتجاه إلى الحوار مع السلطة.
من جانب آخر، قد تكون التحولات الوجدانية سلبية، بمعنى تجسُدها فى أوضاع غير صحية، مثلما قد يحدث مجتمعيا كنتاج لإشكاليات إقتصادية مصحوبة بمشكلات مثل البطالة، وعدم سد الحاجات الأساسية (كالغذاء والمسكن والعلاج).

وأما عن تأثير المستقبليات على التحولات الوجدانية فينبع - أساسا- كإنعكاس للتغييرات التكنولوجية، وذلك على غرار مايلى:
- تعذر انتفاع الشرائح المجتمعية الأدنى ماليا بما تحققه التطورات التكنولوجية من تحسين فى سد الإحتياجات.
- إعادة تصنيف البشر إلى مستفيدين، وغير مستفيدين، من التكنولوجيات الراقية، كالذكاء الإصطناعى.
- تدنى فاعلية الأدوار الدولية فى تجنيب البشر سوء استخدام (أو إحتكار) التكنولوجيات المتطورة من جانب من يمتلكونها ضد من لايمتلكونها.

وهكذا، يمكن لعلاقة التحولات الوجدانية بالمستقبليات أن تمضى فى اتجاهين، إتجاه يتعلق بما ينبغى أن يكون لمصلحة عموم البشر، وآخر ينبع من تعرض الشرائح البشرية الأدنى للحرمان من الإستفادة بالتطورات التكنولوجية.

رابعا - إعتبارات تتعلق بالممارسات:
عمليا، التحول الوجدانى يمثل فعلا أو أداة، وبالتالى تكون له استخدامات، وتكون لفاعلياته احتراسات ومتطلبات، على غرار التالى:
أ) التحول الوجدانى كمنصة إنطلاق للحوار:
هكذا منصة يمكن أن تستخدم فى تفاعلات الشارع السياسى مع السلطات التنفيذية، محليا ودوليا، من أجل التصحيح. ربما فى هذا السياق كانت هناك حاجة (وإمكانية) فى مصر (2017/2018) للحواربشأن قضايا عامة مثل الديون، أو التصرف فى بعض وسائل الإنتاج، غير أن التحولات الوجدانية لم تكن قد وصلت إلى مستوى الدعوة للحوار مع السلطة. ذلك بينما حدث لاحقا (2022) أن نظمت الدولة لقاءات، مع نشطاء الشارع السياسى، بمسمى "الحوار"، والتى كانت - عمليا- منصات لإستماع الجميع للجميع، حيث لم تكن تطبق المتطلبات التقانية المتعارف عليها عالميا بشأن الحوار ("من القلق المجتمعى إلى الحوار الوطنى" – الشروق – 2 يوليو 2022).

ب) النأى بالتحول الوجدانى عن الإساءة إليه:
قد يتعرض التحول الوجدانى لسوء الإستغلال، الوضع الذى قد جرى فى عديد من البلدان العربية فيما يتعلق بانتفاضات الربيع العربى، والتى جوبهت بمناورات إلتفافية تخريبية، سواء من كيانات دينية متشددة (أو صاحبة أجندات خاصة)، أو من قوى الأمن (الشرعى أو غير الشرعى)، أو جهات أجنبية.

ج- تجنب المصيدة:
ضرورة التحسب من التوجهات التى تجعل من التحولات الوجدانية فرصة (أو مصيدة) لاغتيال المجتمعات، بمعنى تفتيتها. ربما يكون ذلك هو الأقرب لأحداث جرت فى ليبيا وسوريا والسودان. هنا تجدر الإشارة إلى جريمة إختلاق مفهوم زائف بمسمى "الفوضى الخلاقة" (الثقافة العلمية بين البزنسة والتسييس والتمكين – الهلال – ابريل 2016).

د- لا للمزاجيات:
أحيانا يتعرض التحول الوجدانى إلى تأثيرات جانبية من أفراد أو جماعات متنوعة الأطياف. إشكالية هؤلاء أنهم ينحرفون عن الجوهر العام للتحول، ويُغَلِبون توجهاتهم الخاصة، دينية، أو حزبية، أو شخصية ..إلخ، الأمر الذى يرجع إلى ماسبق الإشارة إليه بالوجدانات "اللاوجدانية". هنا، يخضع التحول الوجدانى إلى فاعليات "مزاجية" تؤدى إلى إضعافه. كأمثلة، يمكن الإشارة إلى مصائر التحولات الوجدانية الثورية فى تونس (2010) وفى مصر (2011).

خامسا - متطلبات الإستفادة من التحولات الوجدانية:
الإستفادة من التحولات الوجدانية، كمنصة للتصحيح، تكون أكثر إمكانية فى وجود:
- سلطات قادرة على قبول النقد والتعامل معه معرفيا.
- أنظمة سياسية نشطة، سواء محلية أو دولية.
- مفكرون مدركون لمسؤلياتهم بشأن التصحيح وعلاج الإنحرافات.
فى هذا السياق يمكن جذب الإنتباه إلى أمرين. أولا، حاجة العالم إلى "قوة فكر" فى مقابل "فكر القوة"(المستقبل بين

فكر القوة وقوة الفكر – المكتبة الأكاديمية 2006)، مما يتطلب الفاعلية الجماعية للمفكرين، وثانيا، أن النيوليبرالية قد تمكنت من جعل التقدم العلمى/التكنولوجى خادما لغاياتها (خاصة فى العسكرة)، مما زاد من تحكماتها فى استراتيجيات العلم والتكنولوجيا. ذلك إضافة إلى هيمنتها على استخدامات القيمة المضافة لمصالحها (وحلفائها) بأكثر من (وبصرف النظر عن) مصالح عموم البشر.

هذه الوضعية تستدعى وجودية الفكر إلى جانب العلم والتكنولوجيا، وبحيث يكون المشتغلون بالبحث العلمى والتطوير التكنولوجى مفكرون، وليسوا مجرد أدوات فى كيانات يمكن أن تتطرف. بمعنى آخر، ضرورة خروج نشطاء العلم والتكنولوجيا والفكر من وضعية تحولهم إلى بروليتاريا لخدمة النيوليبرالية وحلفائها واتباعييها.

ختاما، تأتى مسألة "فلسفة التحول الوجدانى الدولى الجديد وتوجهاته"، والتى تحتاج تناولا خاص.

#محمد_رؤوف_حامد (هاشتاغ)



حركيات الوجدان الدولى الجديد



محمد
رءوف حامد

آخر تحديث: الخميس 14 أغسطس 2025 - 7:55 م بتوقيت القاهرة

مع نشأة التحول الوجدانى الدولى الجارى، كواقع عالمى، نتاجًا لأوضاع فجرت عورات النظام الدولى (الوجدان الدولى الجديد - تضاريسه ومآلاته - الشروق 10 يوليو 2025)، يُتوقع لهذا الوجدان أن يكون «نعمة» إذا ما ولّد عزمًا للتغلب على مآسى الشأن العام العالمى أو أن يكون «نقمة» إذا ما استُنفدت طاقته فى التعبير عن الآلام دون إفراز مهام وترتيبات تغييرية وتصحيحية.

بمعنى آخر، التحول الوجدانى الدولى الجارى فى حاجة إلى توظيف لمعانيه وآماله.

بداية، تستدعى هذه الحاجة الإطلال على بعض المقاربات التعريفية، كمدخل للنظر فى حركيات التحول الوجدانى الدولى، من حيث البزوغ والمسارات.

أولًا - مقاربات تعريفية:

• فى اختلاف التحول الوجدانى عن التحول المزاجى: المزاج يكون - عادة - إما إيجابيًا أو سلبيًا، جيدًا أو سيئًا. لذا تكون تحولاته محدودة التنوع، حيث تقع غالبًا بين حالتين متضادتين، كأن يكون المزاج سلبيًا نتيجة التعرض لنبأ محزن أو إيجابيًا نتيجة ورود نبأ مفرح.

أما التحول الوجدانى فيكون أكثر تعقيدًا، الأمر الذى يرجع إلى التنوع الكبير فى العوامل المكوّنة للوجدان والمؤثرة فيه، والتى تساهم مجتمعة فى جعل الوجدان ممثلًا و/أو دافعًا لما يكون عليه الشخص من حس أو قدرة أو رغبة. لذا ينشأ الوجدان مما يكمن فى باطن (أى داخل) الإنسان من بنية نفسية و/أو إمكانية عملية، تقوده إلى التشارك فى صنع رؤية أو اتخاذ موقف.

من أهم العوامل، أو العناصر، التى تساهم فى تشكيل الوجدان نجد العاطفة، والخيال، والخلفية الثقافية، والطموحات، والقدرة (و/أو الخبرة) بخصوص صنع التوجهات (كفعل أو كرد فعل). أما العامل المفصلى بخصوص انضباط الوجدان والتحكم فيه، فيتمثل فى "الضمير". ذلك أن للضمير (وللظروف التى يمكن أن تؤدى إلى إيقاظه أو كتمه) دورًا رئيسيًا فى صناعة الوجدان، وفى صياغة تحولاته.

• فى المقارنة بين تحولات الوجدان وتحولات العولمة: تختلف تحولات العولمة، من حيث البنية وقوى الدفع وأدوات التنظيم، عن تحولات الوجدان. فى الأساس، تمثل العولمة وتحولاتها توجهات وترتيبات تمس العالم ككل، شعوبًا وحكومات، وتؤثر على أوضاع كافة مجالات الحياة، من تجارة واقتصاد وتكنولوجيا... إلخ، ناهيك عن الانعكاسات على المناخ وأوضاع الخير والشر، أو السلام والصراعات.

أما ما يربط بين التحولات العولمية والتحولات الوجدانية (الجارية) فيتمثل فى كون الأولى إطارًا مؤديًا إلى استفحال الخلل فى النظام الدولى، بينما الثانية قد بزغت كرد فعل على سوءات هذا الخلل (العولمى).

• الوجدانيات غير الوجدانية: إذا كان الوجدان يساهم فى بناء الرؤى والمواقف، والتى تتغير بفعل التحولات الوجدانية، فهناك من تكون وجداناتهم على قدر كبير من الاستاتيكية، وكأنها وجدانات معلبة. إنها الوجدانات الناشئة عن (والمرتبطة بـ) مصالح خاصة.

عادة، تنتمى الوجدانات "المعلبة" إلى أنشطة "البيزنس"، أو إلى أيديولوجيات سياسية أو غير سياسية. ولأن هذه الوجدانات تكون – نسبيًا – صعبة التحول، فهى إلى حد كبير مغلقة أو شبه مغلقة.

بمعنى آخر، يمكن الإشارة إلى هذه الوجدانات باعتبارها "شبه وجدانات"، أو وجدانات غير وجدانية (أو لاوجدانية)، حيث إنها أقرب إلى الثبات، والتقليد، والتعصب.

ثانيًا – التحولات الوجدانية: البزوغ والمسار:
باعتبار أن الوجدان قاعدة (أو منصة) تسهم فى تكوين الرؤى والمواقف، فإن عمومية وجود "الوجدانية" عند البشر تجعل منها نواة لتكوين ونشأة وجدانات عامة، جماعية أو مجتمعية.. إلخ. كانعكاس لذلك، نجد قدرًا ملحوظًا من خضوع الوجدانات للتشابه وللتباين عبر المجتمعات، طبقًا لظروف تتعلق - مثلًا - بالجغرافيا، والمناخ، والتراث، فضلًا عن التحديات الداخلية والخارجية التى تتنوع مكانًا وزمانًا.
فى هذا السياق، يمكن القول بوجود علاقة بينية كبيرة بين الحالة الوجدانية من جهة، باعتبار تأثيراتها فى الرؤى والمواقف، وما وصفه هابرماس (1929) بالفعل التواصلى (بمعنى تبادل وجهات النظر بشأن الرؤى والمواقف والاهتمامات). ذلك أن وجودية الفعل التواصلى على المستوى المجتمعى، كمُرَشِد للسياسات وللأنظمة والكيانات التنفيذية، تعنى صحة الاستيعاب المجتمعى للوجدانات، وحسن الاستفادة منها.
نجاح الفعل التواصلى بين (وعبر) الوجدانات يؤدى، ليس فقط لتجنب تعرضها للتحجيم أو الكتم، بل أيضًا لتواصل تطورها الذاتى، ومن ثم تطور (وصحة) ما يصدر عنها من رؤى ومواقف، فرديًا أو مجتمعيًا أو دوليًا.
وهكذا، تظل الوجدانات الخاصة بالشأن العام، محليًا أو دوليًا، موجودة دائمًا. وبينما يتذبذب ما يصدر عنها من رؤى ومواقف، ارتفاعًا وانخفاضًا، وحدةً ونعومة، إلا أن هذا التذبذب يظل فى نطاقه (أو مداه) متوقعًا ومقبولًا، طالما يكون الشأن العام على قدر من الاستقرار.
استقرار الشأن العام على المستويات المحلية ينبع - أساسًا - من استمرارية العلاقات الحميدة بين الناس والسلطات، سواء طبقًا لنظريات كبرى مثل نظرية «العقد الاجتماعى» أو طبقًا للدساتير المحلية.
بالتوازى، يأتى قدر استقرار الشأن العام على المستويات الدولية، إقليميًا وعالميًا، انعكاسًا لمدى سلامة الأوضاع بالمطابقة للمواثيق والنظم الدولية، على غرار مواثيق الأمم المتحدة وحقوق الإنسان وجامعة الدول العربية، وكذلك مدى صحة وانسيابية أداء الكيانات الدولية الكبرى، مثل مجلس الأمن ومحكمة العدل... إلخ.
وهكذا، الوجدانات دائمًا موجودة، أما عن تحولاتها، بمعنى التغيير فى حدتها ومخرجاتها بأكثر من التذبذبات العادية، فإنها تطرأ كبزوغات من وقت لآخر، والتى تكون مؤقتة زمنيا ومحدودة مكانيًا.
هنا، تجدر الإشارة إلى أمثلة للتحولات الوجدانية: مثلًا، عن التحولات الوجدانية فى مصر، نشير إلى ثلاثة منها:
• التحول الوجدانى فور إعلان الرئيس عبد الناصر التنحى عن الرئاسة، بعد 5 يونيو 1967، والذى تجسد فى تظاهرات 9 و10 يونيو، منادية برفض التنحى واستمرار المسيرة حتى إزالة آثار العدوان.
• التحول الوجدانى عند جماهير طلاب الجامعات (السبت 24 فبراير 1968) ورفضهم لما عُرف بأحكام الطيران، حيث أعلنوا تحميلهم النظام ككل (برئاسة عبدالناصر) مسئولية النكسة، وليس بالذات بعض الضباط. لقد أدى هذا التحول للتوصل - قوميًا - إلى بيان 30 مارس، والذى مثّل منصة (أو بوصلة) تصحيحية لعلاقات ومسارات وطنية عديدة.
• التحول الوجدانى عند جموع المصريين رفضًا لرفع أسعار بعض السلع التموينية، والذى أدى إلى تظاهرات عمت البلاد (يومى 18 و19 يناير 1977).
أما على المستوى العابر للحدود الدولية، فيمكن الإشارة إلى الأمثلة التالية:
• تحول وجدانى عالمى ضد الحرب الأمريكية على فيتنام، الأمر الذى قاد إلى محاكمة شعبية كبرى للمسئولين الأمريكيين (1966)، والتى كانت بقيادة أستاذ الرياضيات والمنطق، الفيلسوف برتراند راسل (1872-1970).
• تحول وجدانى عالمى ضد إعلان الولايات المتحدة الحرب على العراق، وهو التحول الذى نشأ نتيجة الحس – عالميًا – بكذب الزعم الأمريكى بوجود أسلحة نووية فى العراق، مما يجعل حربها غير مبررة. هنا، تجدر الإشارة إلى الفاعلية الشعبية العالمية الكبرى التى جرت يوم 15 فبراير 2003 فى جميع العواصم تقريبًا، داعية لمنع إقدام أمريكا على ضرب العراق، الأمر الذى لم يجد استجابة. وفى المقابل، يشهد التاريخ بحدوث احتيال أمريكى على مجلس الأمن، للتعمية عن أي توجهات تكون كاشفة للكذبة الأمريكية، والتى اعتذر بشأنها لاحقًا (بعد إتمام تدمير العراق) كل من الرئيس الأمريكى (بوش الابن) ووزير خارجيته (باول).

• تحول وجدانى عالمى رافض لحكم محكمة فرنسية يقضى بإعدام المجاهدة جميلة بوحيرد، مما أدى إلى تخفيف الحكم إلى السجن، والذى لم يستمر حيث تحررت بوحيرد بتحرر الجزائر.

وهكذا، يقضى المسار الطبيعى باستمرارية استقرار الوجدانات، فيما يتعلق بالشأن العام، طالما تواصل وجود حد أدنى مناسب من الثقة بين عموم الناس من جهة، والمسئولين (أو الحكام) من جهة أخرى. أما فى حالة تلف هذه الثقة، فإن التحولات الوجدانية تبزغ تلقائيًا، متمثلة فى تصاعد للرؤى والمواقف الرافضة لانحرافات الشأن العام، والمنددة بالمسئولين عنها.

ختامًا، يمكن ملاحظة أن حركيات التحولات الوجدانية، محلية أو دولية، تلقى فى كثير من الأحوال استجابات من الأنظمة المسئولة، أو اعترافات بما يمكن أن تكون هذه الأنظمة قد اقترفت من أخطاء، ولو بعد فوات الأوان. أما عن مصير حركيات التحول الوجدانى الدولى الكبير، الرافض لما جرى ويجرى من "إبادات كلية" فى غزة، إبادات تحظى بتحالفات دولية/ إقليمية، فإن الحاجة قصوى لتناول العلاقات البينية بين حركيات هذا التحول من جهة، والشأنين الفكرى والعام من جهة أخرى.



الوجدان الدولى الجديد.. تضاريسه ومآلاته



محمد
رءوف حامد

آخر تحديث: الخميس 10 يوليه 2025 - 8:50 م بتوقيت القاهرة

مع تعاظم وضوح حدة التناقضات فى حركيات الشأن العام الدولى، خاصة فيما يتعلق بمعايير حقوق الإنسان، وبإنفاذية سيادة القانون، يتصاعد الحس باللايقينية عند الجميع، أفرادا، وكيانات، وشعوبا. ولأن تفاقمات اللايقينية قد تخطت عتبات الاستحمال، فقد انخفض بشدة الشعور بالأمان فى معظم أرجاء العالم.

هذه الحالة «المرضية» لم تنشأ فجأة من الصفر، بل أخذت تنمو، فى تطور بسيط، متواصل، منذ بزوغ ما عرف بالعولمة، أواخر الثمانينيات. أما أحداث غزة، فلم تكن إلا كواشف تُعَرّى وتفضح سوءات ما دُرج على تسميته بالنظام الدولى.

من أحداث غزة إلى تغير الوجدانات

عمليا، أدت وضعية انكشاف عُهر النظام الدولى، من ماكروسكوب أحداث غزة، إلى تغييرات فى مكونات «القوى الباطنية» للإنسان، بما يُعتَمَل فيها ويصدر عنها من عواطف وخيالات، وبما يكمن فيها من ضمير، وما يطرأ عليها من توجهات. الانتشار لهكذا حالة يعنى تغيرا فى «الوجدان».

تغير «الوجدان» عند شخص يؤدى إلى تحولات فى علاقاته وفاعلياته ومساراته. أما عندما ينتشر التغير الوجدانى عالميا فالتحولات، من حيث خصائصها وتبعاتها، تتخطى ما يمكن أن يكون فى الحسبان. عندها تمثل التحولات الوجدانية ملمحا للمتبقيات، والتى كان قد جرى استشرافها فى طرح سابق («غزة.. ما بين اليوم التالى والمتبقيات» - الشروق- 15 أغسطس 2024)، والذى جاء فيه: «ستسكن المتبقيات الناجمة عن أحداث غزة، ليس فقط فى النفوس والعقول، وإنما أيضا فى الزمان، حيث تمتد تأثيراتها وانعكاساتها بشكل تكاد لا تكون له حدود.. ذلك يعنى تخطى المحتملات والممكنات الناجمة عن أحداث غزة لمنطق اليوم التالى، بل ووصولها إلى مسارات من نوع ما ينبغى أن يكون».

عن تضاريس ومآلات هذا الوجدان العالمى البازغ، يجتهد الطرح الحالى فى الإشارة إلى العوامل المُنشئة للتحولات فى الوجدان الدولى، وما يتولد عنها من ملامح، فضلا عن العدائيات المجابهة لهكذا تحولات.

العوامل المُنشئة للتحولات فى الوجدان الدولى

من أهم هذه العوامل تجدر الإشارة إلى:

1) تعطل فاعليات النظام الدولى، وعلى رأسه الأمم المتحدة وكياناتها، تجاه الإدانات القانونية للإبادات الجماعية والتطهيرات العرقية لسكان غزة، وتجاه المطالبات العالمية بتحرر فلسطين.

2) انعدام إمكانية استيعاب الكيان الإسرائيلى لأية حكمة (أو نصيحة) تبزغ من داخله بشأن المخاطر الوجودية القائمة عليه هو ذاته من جرّاء اغتصابه للحق الفلسطينى. فى هذا الشأن يُذكر أن رئيسين لمجلس الوزراء الإسرائيلى، إسحق رابين (1922- 1995) وأرئيل شارون (1928 - 2014)، قد دَعِيا أثناء وجودهما فى السلطة (وبرغم سابق ممارساتهما العنصرية ضد الفلسطينيين) إلى الاعتراف بالحق الفلسطينى والترتيب لسلام دائم مع الفلسطينيين. المفاجأة أن كليهما لقى حتفه فور إعلانه عن توجهه، الأول (رابين) اغتيالا بالرصاص، والثانى (شارون) بغيبوبة أنهت حياته. هكذا سياق يكشف السبب فى أن أكثر من جاء بعدهما تطرفا (نتنياهو) قد قاربت فترات رئاسته لمجلس الوزراء عقدين.

3) تشابه كبير فى وتيرة الملاحقات القضائية المتعلقة بالفساد لكل من الرئيس الأمريكى

(ترامب) ورئيس الوزراء الإسرائيلى (نتنياهو)، الأمر الذى قد تخطى مؤخرا المعايير الأخلاقية، بتوجيه ترامب رسالة إلى الإسرائيليين مطالبا فيها بإلغاء جلسات محاكمة نتنياهو بخصوص الفساد.

4) تصاعد حالة الشواش فى ممارسات الإدارة الأمريكية بقيادة ترامب، بما يتضمنه ذلك من مواجهات أمنية وإدارية مع أصحاب الرؤى الأخرى، من الطلاب والباحثين، وقيادات الجامعات. ذلك إضافة إلى المشاغبات بخصوص التعريفات الجمركية مع عديد من البلدان، فضلا عن المواجهات مع أوضاع الهجرة والمهاجرين.

الملامح المجسدة للتحولات

ملامح متنوعة عديدة، نشير هنا إلى بعضها.

1) تصاعد ثورة شباب الجامعات الأمريكية، شجبا لإسرائيل، ودعما للحق الفلسطينى، ورفضا لكافة مساهمات جامعاتهم وحكومتهم فى دعم إسرائيل.

2) تواصل إعلان كبار المثقفين فى العالم، من مفكرين وأكاديميين وفنانين.. إلخ، عن إداناتهم للجرائم الإسرائيلية، وتأييدهم للحق الفلسطينى.

3) تنصل عديد من مشاهير وجماهير اليهود من تمثيل الصهيونية لهم، واستنكارهم للممارسات الإسرائيلية ضد الفلسطينيين.

4) استصدار كيانات قانونية دولية (محكمة العدل والمحكمة الجنائية) لقرارات تتهم الكيان الإسرائيلى بجرائم حرب وتنص على محاكمات لقياداته.

5) تزايد الحس بالفجوات، شمالا وجنوبا، بين مواقف الشعوب من جانب، ومواقف الحكومات من جانب آخر.

التحولات المنتظرة

تمثل هذه التحولات التشوقات التى تحس معظم شعوب العالم بالحاجة إليها، أو التى فى طول غيابها يهيمن الانكسار والتحجيم على قدرات وطموحات الشعوب. من أبرز التحولات التى يوجد انتظار لها يمكن الإشارة إلى:

• انعدام ما يعرف بجريمة العداء للسامية، خاصة وقد تزايد إدراك كبار الأكاديميين والكتاب والفنانين من اليهود، بأن القصد من هكذا اتهام هو حماية الصهاينة لأنفسهم بشأن ممارساتهم العنصرية.

• التمكين للفعل التواصلى بين الناس العاديين وبعضهم، وبين المفكرين وبعضهم، الأمر الذى تجتهد القوى العالمية المهيمنة (النيوليبرالية والصهيونية وأتباعهم فى بلدان الجنوب) فى تحجيمه ومنعه.

• المعالجة الذاتية لأحوال الشأن العام فى بلدان الجنوب، خاصة عربيا وشرق أوسطيا، الأمر الذى يتطلب التركيز فى تصحيح الممارسات السياسية، وحركيات المجتمع المدنى، والتمسك بسيادة القانون.

• تحول مسار الشارع السياسى الأمريكى إلى فاعليات أكثر تنوعا وتأثيرا من الهيمنة المزمنة لحزبين كبيرين. هكذا تحول يعنى ثورة على تقليديات الشارع السياسى الأمريكى، مما ستكون له انعكاساته السياسية عالميا. إنه طرح كان قد جرت الإشارة إليه فى فبراير 2013 («مستقبل جديد للثورات– ثورة المفكرين الحوار المتمدن – العدد 3991)، ثم أعقبه طرح آخر عام 2016 («الأمريكيون يقتربون من المسار المستقبلى للثورات» – الحوار المتمدن – العدد 5340 – 11 نوفمبر)، وبعده صدر للسياسى الأمريكى المخضرم برنى ساندرز كتابين (بالإنجليزية) فى نفس الاتجاه (أولهما «مستقبل للايمان بثورتنا» 15 نوفمبر 2016، والآخر «الدليل للثورة السياسية» 29 أغسطس 2017).

ظهران ممدانى - جنين الوجدان الأمريكى الجديد

فى ظل استشراف حدوث ثورة على تقليديات الشارع السياسى الأمريكى، وبالتزامن مع التحولات والمتولدة بفعل أحداث غزة، يأتى فوز الشاب ظهران ممدانى بتمثيل الحزب الديمقراطى فى انتخابات عمدة نيويورك. إنه حدث يبزغ فى لحظة تاريخية خاصة، تتوافق (أو تلتقى) فيها الخصائص غير التقليدية لهذا المرشح مع الوجدانيات الجديدة لعموم الناس، الأمر الذى لم يكن ليحدث لو لم تكن متبقيات غزة قد بدأت فعلها. ذلك بمعنى أن خصائص ممدانى، كمسلم، وكمهاجر حديث، وكاشتراكى النزعة، وكمناهض لهيمنة رأس المال وللإبادات الجماعية فى غزة، لم تكن مطلقا لتَلقى، فيما قبل متبقيات غزة، تأييدا انتخابيا فى نيويورك، والتى عرفت بيهودية غالبة، وبهيمنة أصحاب المليارات.

العدائيات المجابهة للوجدان العالمى الجديد

إذا كان ما يمكن اعتباره «وجدانا عالميا جديدا» قد بزغ وتكوّن ونضج وما زال يتنامى نضجا،

انعكاسا لما يجرى فى العالم من إلغاء (أو تحجيم) للقانون الدولى وللأنظمة الخاصة بتسييره، فإن العدائيات المواجهة لهذا الوجدان تأتى من المحدثين للخلل فى النظام الدولى، والذين يتمثلون فى:
1) النيوليبرالية، بممارساتها السياسية الرأسمالية الشرسة، وبدعمها النوعى للتطورات التكنولوجية الخاصة بالتسيد على الآخر، وليس بالفائدة لعموم البشر.
2) الصهيونية العالمية بما تمارسه من عنصرية صريحة، والتفافات (تحكمية) حول أنظمة الحكم، خاصة فى الغرب.
3) قوى التطرف فى أى مكان، والتى تلقى جميعها، أو معظمها، الدعم من النيوليبرالية والصهيونية العالمية.
4) القيادات السياسية المحلية، شمالا وجنوبا، ممن تتغلب على ممارساتها الاتباعية للنيوليبرالية و/ أو للصهيونية، والذين هم ممن يتشبثون باستمرار بهيمنتهم على السلطة.
5) عناصر النخب (كالمفكرين والأكاديميين) ممن يقومون بالتخديم على النيوليبرالية والصهيونية وقوى التطرف.
هذا، ويجدر الانتباه إلى أن أصحاب العدائيات المجابهة للوجدان العالمى الجديد هم - فى نفس الوقت - ممارسون للمؤامراتية، ومستخدمون لها، ضد الآخر، كيانات وشعوبا (مكانة المؤامراتية من المستقبليات -دورية أدب ونقد- العدد 426- 2024- ص 23- 46).
وبعد، إذا كانت العولمة، وبرغم كونها نتاج لتضافرية بنائية منظومية من دول كبرى قد وصلت بالنظام الدولى إلى ما يحفل به حاليا من عورات، وغبائيات، فماذا يمكن أن تكون عليه مخرجات الوجدان الدولى الجديد؟
هنا يمكن القول بأنه بالرغم من أن هذا الوجدان الجديد ليس إلا سياقا عالميا، إلا أنه قد يكون بمثابة الجسر المناسب للعبور إلى نظام دولى أكثر نضجا وعدلا، مسألة تحتاج إلى تناول قائم بذاته.
